الرّد

على كتاب

(أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، للقفاري)

الدكتور عبدالقادر عبدالصمد



دار الوحدة
الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الـرّد

على كتاب

«أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، للقفاري»

تأليف:
الدكتور عبدالقادر عبدالصمد

دار الوحدة الإسلامية
بيروت

دارالوحدة الإسلامية

المؤلّف عبدالقادر عبدالصمد
الطبعة الأولى
مطبعة التوحيد
سنة ١٤٢٢هـ. ق ـ ٢٠٠٢م

كلمة الناشر:

ـ في مواجهة الناعق بالفرقة و الإختلاف ـ

أيّها القارئ الكريم:

كُنّا نودّ أن يكون الجُهد الذي بُذل و الوقت الذي استُغرق في إنجاز هذا البحث قد أنفقا في بحث واحدة من المسائل الإعتقادية أو الفقهيّة التي لطوائف المسلمين نظر واحد أو متقارب فيها، لتوضيحها و تجلية أبعادها و التأكيد عليها، من أجل لفت نظر و انتباه أبناء الإسلام إلىٰ الأرضيّة المشتركة الواسعة بينهم علىٰ صعيدي الإعتقاد و الفقه و الأصعدة الأخرىٰ.

أو أنّ هذا الجهد و هذا الوقت كانا قد أُنفقا في بحث واحدة من المسائل الخلافيّة، في ضوء العرض الشامل لأدلّة جميع الطوائف الإسلاميّة فيها، و مناقشة هذه الأدلّة بموضوعيّة و دقّة علميّة و عدم انحياز مسبَّق لرأي من الآراء، حتّى يطّلع المسلمون على مناشيء و أبعاد و حقائق قضاياهم التي اختلفت آراؤهم فيها، و يتعوّدوا على أجواء المناقشة العلميّة، و المنهج الموضوعي، و الإنفتاح على الرأي الآخر برحابة صدر و إقبال، إذ الأصل في المسلم أن يكون ابن الدليل و الحجّة و البرهان، لا ابن الرفض المسبّق، و التقوقع، و التعصّب الأعمىٰ و عدم الإنفتاح.

و الصفّ الإسلاميّ الواحد المرصوص الكيان بحاجة فعلاً إلىٰ بحث

هذين النوعين من المسائل، لأنّ كُلاًّ منهما ـ في نظرنا ـ في ضوء الشرائط الصحيحة ذو أثر إيجابيّ في ترسيخ دعائم وحدة هذا الصفّ المقدّس و رصِّ كيانه.

لكنّنا مع الأسف ـ في الوقت الذي تتعاظم حاجة هذه الأمّة الإسلاميّة إلى من يجمع شملها، و يوحّد كلمتها، و يوثّق فيها عُرىٰ المحبّة و الألفة و التعاطف، و يوجّه أنظارها إلى أعدائها الحقيقيين ـ نشاهد بين فترة و أخرىٰ من ينبعث مدفوعاً من (قرن الشيطان)، ناعقاً بالخلاف و الإختلاف، لإثارة دواعي الرّيبة و الإفتراق، مُصرّاً على التعامي عن الأرضيّة المشتركة الواسعة للوحدة الإسلاميّة!

و من سلسلة إصدارات (قرن الشيطان).. ما نعق به ناصر القفاريّ في كتابه (أصول مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية ـ عرض و نقد).

و حيث لابدّ لردّ كلّ ناعق بفرقة و بباطل... من منادٍ بالحقّ و المحبّة و الوحدة.. كان هذا الكتاب المختصر (مدخلاً) لردّ تفصيليّ يعقبه إن شاء الله تعالى.

و دار الوحدة الإسلاميّة ـ و هي تقوم بنشر هذا المدخل و تشكر الله على هذه النعمة ـ لاتدّعي لنفسها حقّ نشره، بل تدعو كلّ مسلمٍ غيور علىٰ دينه و على الحقّ و الحقيقة، في وسعه و مقدوره المساهمة في توسيع دائرة نشره من خلال أيّة وسيلة من وسائل النشر و الإتصال، أن لايألو جهداً في القيام بواجبه في هذا الإطار، من أجل كشف الغطاء عن مُحيّا الحقّ الجميل الوضّاء، و لأجل إماطة اللثام عن قبح وجه الباطل الدميم المُظلم، و عن نُكر و بشاعة طنين «مكبّرات صوت الشيطان».

و آخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

دار الوحدة الإسلامية

المدخل

الحمدُ لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره و دليلاً على نعمه و آلائه، و الحمدُ لله على هدايته إيّانا إلى صراطه المستقيم باتباع خاتم المرسلين محمّد ﷺ، و التمسك بما أوصىٰ ﷺ الأمّة أن تتمسّك به: الثقلين، كتاب الله و عترته أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

ثمّ الصلاة و السلام على أشرف الخلائق أجمعين محمّد المصطفى ﷺ و على آله الغرّ الميامين و صحبه المنتجبين.

و بعدُ:

فإنّ المتتبع لتأريخ العلاقات مابين الغرب و العالم الإسلامي يلاحظ حقداً مريراً ظاهراً يملأ صدر الغرب إلى درجة الجنون، و يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة في النفسية الأوربية.

و لعلّ في ذكر بعض النصوص ما يكشف بوضوح عن هذه الحقيقة: يقول لورنس براون: «إنّ الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه

الإستعمار الأوربى!»(١)

و يقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا في وقته: «مادام هـذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، و لاأن تكون هي نفسها في أمان!»(٢)

و يقول المستشرق غاردنر: «إنّ القوّة التي تكمن فيالإسلام هي التي تخيف أوربا»(٣)

و يقول أشعيا بومان في مقال نشره في مجلّة العالم الإسلامي التبشيرية: «إنّ شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها: أنّ الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً! بل إنّ أتباعه يزدادون باستمرار... و من أسباب هذاالخوف أنّ الدين من أركانه الجهاد!»(٤)

و يقول بن غوريون رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق: «إنّ أخشىٰ مانخشاه أن يظهر في العالم العربي محمّد جديد!»(٥)

و منذ ابتداء الغزو الفكري الغربي لعالمنا الإسلامي حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كان الهمّ الأكبر للإستكبار الغربي هو إبعاد المسلمين عن الإسلام، و تشكيكهم بمعتقداتهم، و تنفيرهم من أخلاق الإسلام و آدابه و أعرافه، و ترسيخ أكذوبة

١ـ راجع: كتاب «التبشير و الإستعمار: ١٨٤»

٢ـ راجع: كتاب «الإسلام على مفترق الطرق: ٣٩».

٣ـ راجع: كتاب التبشير و الإستعمار: ٣٦/ط ٤.

٤ـ نفس المصدر: ١٣١.

٥ جريدة الكفاح الإسلامي / سنة ١٩٥٥ م / عدد الأسبوع الثانى من شهر نيسان.

الغرب في أنّ التخلّف و التحجّر ناتجان من نواتج الإعتقاد بالإسلام و الإلتزام به!

و منذ ذلك الحين بدأ الفساد ينتشر في جميع مجالات حياة الأمّة الإسلامية، فانتشرت الأفكار الكافرة، و تفشىٰ التشكيك بالقرآن،(١) و طغىٰ التراخي عن الإلتزام بأقدس الفرائض (الصلاة) في صفوف أبناء الأمة، ثمّ شاعت الفحشاء و الخمور و أوكار البغاء و المراقص و الملاهي، حتى صار ابن الاسلام الملتزم بتعاليم و أحكام دينه غريباً في وطنه بل غريباً في بيته!

و إلى ذلك الحين لم يكن الهمّ الأكبر للغرب أن يضرب المسلمين بالمسلمين و يثير بينهم دواعي الفرقة و الإختلافات المذهبية ـ و إن كان هذا من أهدافه و غاياته ـ بل إنّ همّه الأكبر كان في إبعاد المسلمين عامّة عن الإسلام، فسعىٰ إلى نشر النعرات و الأفكار القومية التي مزّقت المسلمين كلّ ممزّق، كما ساعد الغرب بمعونة اليهود كثيراً في نشر الأفكار الإلحادية و الشيوعية في عالمنا الإسلامي، و قد اقترن كلّ هذا بجهود عظيمة بذلتها طلائع الإستكبار التبشيرية و مؤسساته الإقتصادية و جمعياته (الإنسانية!) لنشر الفساد بصورة مفجعة في عالمنا الإسلامي من أجل تمييع شخصية الإنسان المسلم و مسخه بتحويله إلى كائن لا يهدف في كلّ أموره إلاّ

١- يقول المبشر تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن و هو أمضىٰ سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتىٰ نقضي عليه تماماً، يجب أن نبيّن للمسلمين أنّ الصحيح في القرآن ليس جديداً، و أنّ الجديد فيه ليس صحيحاً!»(راجع: التبشير و الإستعمار: ٤٠ / ط ٢).

إلىٰ بلوغ الشهوة!

يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشّرين المنعقد عام ١٩٣٥ م: «إنّ مهمّة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمّدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإنّ في هذا هداية لهم و تكريماً. إنّ مهمّتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله، و بالتالي لاصلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها.

و بذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له: ألا و هو إخراج المسلم من الإسلام، إنكم أعددتم نشأ لايعرف الصلة بالله! و لايريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية، و بالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الإستعمار ،لا يهتمّ بعظائم الأمور، و يحبّ الراحة و الكسل، و يسعىٰ للحصول على الشهوات بأيّ أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة!...»(١)

و بعد انتهاء الحرب العالمية الأولىٰ، و سقوط الدولة العثمانية،(٢) سيطر الغرب سيطرة مباشرة على العالم الإسلامي، و مزّقت أقلام

١ـ كتاب (قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام، أبيدوا أهله / جلال العالم: ٧١) نقلاً عن كتاب: جذور البلاء: ٢٧٥.

٢ ـ كان الغرب يخشىٰ حتىٰ من إسم الخلافة الإسلامية المتمثّلة ـ آنذاك ـ بالدولة العثمانية، التي كانت رغم بُعد حكمها عن روح الإسلام الآ أنّ الغرب كان يخشىٰ أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكليّة الى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر!

المنتصرين في هذه الحرب خريطة قلب العالم الإسلامي إلى أقاليم متفرّقة تحكمها حكومات تأتمر بأمر الإستكبار الغربي و تخشىٰ عواقب عصيانه، فصار الإستكبار الغربي ـ فضلاً عن امتصاصه لكلّ خيرات العالم الإسلامي ـ يخطّط لحياة المسلمين في جميع جوانبها كما يشاء!

و ظنّ الإستكبار بعد طول الأمد أنّ الأمر قد استقرّ له في عالمنا الإسلامي ـ و الحمدلله الذي جعل أعداءنا من الحمقىٰ! ـ حين جرت الأمور في دنيا الإسلام كما خطّط لها الاستكبار و كما شاء! حتّىٰ فوجىء بما لم يكن يحتسب أو يتوقّع هو و عملاؤه و جميع أجهزة الرصد و المراقبة الإستكبارية المنتشرة في العالم الإسلامي التي كانت تحصي على هذه الأمّة المنكوبة حتّىٰ أنفاسها!

فقد شهد العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية الشريفة ـ و هو آنذاك على مشارف نهاية ذلك القرن ـ حدثاً ليس كمثله حدث معاصر في الجلال و الجمال و الروعة و الهيبة و الأهميّة، ذلكم هو حدث انتصار الثورة الإسلامية في إقليم إيران الظافر بقيادة المرجع الديني الكبير و القائد الفذّ آية الله العظمى السيّد روح الله الموسوي الخميني قدّس الله نفسه الزكيّة.

و قد انبهر العالم الإسلاميّ خاصة و العالم عامّة آنذاك بعظمة ذلك الحدث الكبير، و تأثّر الجميع به (كلٌّ بحسبه)، فقد انبعثت في روح الأمّة الإسلاميّة آمال عودة حاكميّة الإسلام من جديد و بقوّة بعد يأس و خمود، و ارتعدت فرائص الحكومات العميلة في بلاد

المسلمين خوفاً من قيام الأمة ضدها في أقطارها، و وجد مستضعفو العالم في هذه الثورة خير مثال يتأسّىٰ به في التحرّك نحو الخلاص من هيمنة الإستكبار و الطواغيت، و فزع المستكبرون من آثار هذه الثورة المباركة، و هرعوا يخطّطون لمحاصرتها فـي أضـيق دائـرة ممكنة، فضلاً عن مخطّطات القضاء عليها!

و حين شعر الإستكبار الغربي أنّ الجهود المريرة التي بذلها خلال ما يقارب قرناً و نصف قرن في إبعاد المسلمين عامة عن الإسلام قد ارتدّت خائبة إلى نقطة الصفر بانتصار ثورة إسلامية في بلد إسلامي بمثل هذه الجماهيرية و الروعة و الجلال، و قد تأثربها و انـدهش لروعتها المسلمون جميعاً و غير المسلمين، و أصبح حتىّ الانسان الغربيالذي أرهق روحه تيه و ضلال الفكر المادي يتساءل بإعجاب و انبهار عن الإسلام و عن قدرته العجيبة في صناعة الانسان الإلهي المبدئي... حينذاك صار جُلّ و أكبرهمّ الإستكبار الغربي على صعيد مواجهة الإسلام فكرياً و إعلامياً ـ فضلاً عن المواجـهة السـياسية و الإقتصادية ـ أن يعمل علىٰ مستويين رئيسين هما:

١ـ تشويه صورة هذه الثورة الإسـلامية و المـذهب الإسـلامي الذي تتبناه هذه الثورة، و هو مذهب أهل‌البـيتعليهم‌السلام، فـي أذهـان المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخـرىٰ بـصورة خـاصة، و في أذهان غير المسلمين في جميع أقطار العالم الأخرىٰ بصورة عامة، من أجل محاصرة هذه الثـورة الإسـلامية فـي إيـران مـنعاً لامتداد تأثيرها و انتشار شعلتها في البلاد الإسلامية الأخرىٰ أو في

بلدان مستضعفي العالم عامة.

٢ـ تشويه حقيقة الإسلام ـ بأسلوب إعلامي و تقنّي متفوّق ـ في ذهنية الإنسان الغربي، منعاً من تأثره بالإسلام و بالروحيّة الإسلامية.

و قد لاحظنا ـ في بلداننا العربية و في غيرها ـ التجسيد العملي لهذا التوّجه الإستكباري الجديد على ـ هذين المستويين الرئيسين ـ في إشارات عملية عديدة، منها على سبيل المثال:

*: صدور كتب يستظهر مؤلفوها الموضوعية في دراسة المذهب الشيعي،و لكنّهم يستبطنون التضليل و التشكيك و تشويه حقيقة هذا المذهب الحق، كما في محاولة الكاتب المصري محمد عمارة في فصل (الشيعة الإثني عشرية) من كتابه (تيّارات الفكر الإسلامي) الذي صدر بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران.

*: التشكيك و التضليل الإعلامي و السياسي و الديني فيما يتعلق بموضوع الإمام المهدي عليه السلام، من أجل حرف البشرية عامّة و المسلمين خاصة عن الإهتمام بهذا المنقذ الموعود و بحقائق موضوعه، في حقّانيّته و حتمية انتصاره، و هيمنته على العالم، و نشره العدل التام على الأرض كلّها من خلال تطبيقه الكامل للإسلام المحمّدي الخالص، كلّ ذلك منعاً من التوجّه إليه و الإيمان به، و يلحظ هذا التشكيك و التضليل في أنشطة كثيرة لعلّ أبرزها الفيلم السينمائي الذي ادّعوا بأنّه تسجيل و ثائقي لنبؤات (نوستر أداموس)، و قد لايخلو هذا الفيلم من تشويه لهذه النبؤات الغامضة

نفسها بما يخدم دوافع العداء للدين الإسلامي الحنيف. و من هذه الأنشطة أيضاً محاولات إصدار كتب التشكيك بموضوع الامام المهديعليه السلام بأقلام مأجورة محسوبة في الظاهر على الاسلام عامّة و على التشيّع خاصة بأسلوب سافر كما في محاولات (أحمد الكاتب)التشكيكية!

*: صدور كتاب «الآيات الشيطانيّة» لمؤلّفه المرتدّ الهندي الإنجليزيّ المرتع و المنشأ (سلمان رشدي)، الذي أساء فيه إلىٰ النبي الأكرم محمدصلى الله عليه وآله إساءات فاحشة، و قد طُبع هذا الكتاب و انتشر في العالم الغربي بأعداد كبيرة جداً، الأمر الذي يكشف عن الدافع من وراء نشره بهذا الإتساع، و ما ذلك الدافع في الأساس إلاّ تشويه حقيقية الإسلام و نبيّ الإسلامصلى الله عليه وآله في ذهن الإنسان الغربي أولاً و بالأساس من أجل تحصينه عن التأثر بالإشعاعات الإسلامية التي انبعثت جديداً نتيجة انتصار الثورة الإسلامية في ايران.

و لازالت رياح الغزو الفكري الغربي الكافر تهبّ بقوّة و شراسة على عالمنا الإسلامي خصوصاًفي أيامنا الحاضرة هذه، حيث أحكمت وسائل الإعلام الكافر قبضتها على كلّ العالم بطريقة حديثة و متفوّقة و شاملة، و لازلنا نطّلع في كلّ يوم على خائنة منهم في وسائلهم الإعلامية المسموعة أو المرئيّة أو في عالم الكتب!

و ظلمُ ذوي القُربىٰ اشدُّ و آلمُ...!!

في الوقت الذي تحتّم المسؤولية الشرعية على جميع المسلمين

و على علمائهم خاصة أن يـقفوا صـفّاً كـالبنيان المـرصوص فـي مواجهة الغزو الفكري الغربي الكافر، و أن يـنفتحوا عـلى بـعضهم البعض على أساس المشتركات الدينيّة الواسعة بينهم في الأصـول و الفروع، على طريق «الوحدة الاسلامية»،[1] لازالت تُدهشنا بين حين و آخر محاولات تصدر عن إخوان لنا في الدين تُضعف مـن قوّة الكيان الإسـلامي، و تشـتّت الكـلمة و تشـقّ عـصا الوحـدة الإسلامية المنشودة!

و إذا كانت هذه المحاولات متوقّعة و مألوفة مـن قـبل الغـرب الكافر في إطار حملاته المسعورة على الإسلام، فهي مستغربة و غير متوقّعة الصدور عن بعض أفراد العائلة الإسلامية الواحدة!

لقد استغرب الكثير من المؤمنين من ذوي الغيرة الدينية في بلادنا الإسلامية العربية و غير العربية لصدور كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية» لمؤلف يُسمّىٰ «ناصربن عبد الله بن عـلي القفاري» من أهل الحجاز، و هو خرّيج «جامعة محمّدبن سـعود»، و قد نال هذا المؤلف بهذا الكتاب شهادة الدكتوراه بدرجة الشـرف الأولى من هذه الجامعة!

١ـ يقول القس سيمون: «إنّ الوحـدة الإسـلامية تجمع آمال الشـعوب الإسـلامية، و تساعد علىٰ التخلّص من السـيطرة الأوربية، و التبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتـبشير إتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلاميّة!» (راجع: كتاب: كيف هدمت الخلافة: ص ١٩٠)، و يقول المبشّر لورانس بــراون: «يــجب أن يـبقىٰ العـرب و المسـلمون مـتفرّقين، لـيـبقوا بـلاقوّة و لاتأثير!»(راجع: كتاب: جذور البلاء: ٢٠٢)

لقد كان المأمول أن يكون هذا الكتاب خصوصاً و هو يحمل هذا العنوان دراسة موضوعيّة علميّة متفتّحة هدفها الحقيقة الإسلامية، و غرضها تعريف المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرىٰ بحقيقة مذهب أهل البيت عليهم السلام بأسلوب تحقيقي رشيق غايته التقريب بين أبناء الإسلام، خصوصاً و هو يصدر عن مثل هذه الجامعة القائمة في إقليم إسلامي مهم!

غير أنّ من يقرأه لايحتاج إلى كثير تأمّل و لا إلىٰ عميق تدبّر حتّىٰ يخرج بهذه النتيجة و هي أنّ الكتاب واحد من تلكم الكتب التي أرادلها الإستكبار الغربي أن تصدر، في مجرىٰ تيّار الحملة التشكيكية بالمذهب الشيعيّ، مذهب أهل البيت عليهم السلام، ذلك لما في منهج هذا الكتاب و محتواه من «هوية الإنتماء التام» للحملة المسعورة التي شنّها الإستكبار الغربي و عملاؤه الفكريون على مذهب أهل البيت عليهم السلام منذ بداية الثمانينات من القرن العشرين الميلادي.

و في جامعة «محمدبن سعود» قسم من أقسامها عنوانه «قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة»، و يتبادر إلى ذهن من يسمع بهذا القسم أنّ لهذا القسم جملة رفيعة من المحققين ذوي الإختصاصات المعمّقة في معرفة أنواع المذاهب و الأديان، و ذوي الإطّلاع الدقيق على معتقدات هذه المذاهب و نظراتها، و حدود الإتفاق و الإختلاف فيما بينها،من خلال معرفة لايعتورها خلط و لايكثر فيها الإشتباه، معرفة لم تنشأ عن مطالعة ثقافية عامّة حصدت نتاجها

من غثّ و سمين، و خيال و حقيقة، بل معرفة نشأت عن تحقيق علمي ميداني في نفس تراث و مباني تلك المذاهب و الأديان، و تحصّلت ركائزها و توثّقت مستنداتها بعد مناقشات و محاورات علميّة طويلة و كثيرة مع نفس علماء و مراجع تلكم المذاهب و الأديان... و هذه هي سيرة السلف الصالح من محققّي و علماء هذه الأمّة المرحومة في طلب الحقيقة و كشف الأستار عنها، فقد كانت لهم إفادات و استفادات عظيمة من خلال محاورات و مناظرات و ندوات علمية فيما بينهم، لاتزال الأجيال تنهل من معينها منذ سجّلت و طبعت في كتب حملت إسم المناظرات أو الإحتجاجات أوالمراجعات.

بل إنّ هذه السيرة العلمية في المناظرة و معرفة الرأي الآخر من أهله لازالت مستمرة و معمولاً بها حتّىٰ أيامنا الحاضرة، و في مختلف العلوم، كعلم الطبّ و الهندسة و غيرهما، إذ لم تزل الإجتماعات و الندوات و المؤتمرات المتخصصّة تعقد كلّ حين لعرض ما استحدث من آراء و نظريات، لنقدها و سدّ ثغراتها، أو لإثبات جدارتها بالاعتماد و التبنّي الكامل، و في مثل هذه المحافل يتمّ تبادل الأفكار بكلّ إحترام و انفتاح، من دون أن يتهمّ طرف طرفاً آخر بالجهل و التحجّر و التعصّب، أو ينال منه لمجرّد عدم موافقة رأيه و عدم القبول به!، بل تجد الأطراف العلمية في مثل هذه المحافل يتحاورون بالمستوىٰ اللائق بالروح العلمية إلى أن يتوصّلوا إلىٰ الرأي الصائب فيتقبلّوه و يأخذوا به!

لكنّ من يقرأ كتاب «أصول مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية» لهذا الرجل القفاري! و هو بحسب شهادة الدكتوراه من درجة الشرف الأولى التي نالها من قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة محققٌ لامع في هذا القسم!! ـ يخيب ظنّه و أمله في المستوىٰ العلمي لهذا القسم! بل وفي المستوىٰ العلمي للجامعة التي حوت هذا القسم!

ذلك لما في هذا الكتاب من:

❋: التقطيع و التحريف لأحاديث أهل‌البيت عليهم السلام و كلمات علماء الشيعة و مفكّريهم.

❋: الإفتراء على الشيعة الإماميّة و اتهامهم بما ليس فيهم.

❋: الإستناد إلىٰ الأحاديث الضعيفة و الشاذّة عند الشيعة.

❋: الخلط بين مذهب الشيعة الإمامية (مذهب أهل‌البيت عليهم السلام) و مذاهب أخرىٰ.

❋: التنكّب عن الطريق الصحيح لدراسة المذاهب.

❋: الإغماض عن ملاحظة جميع التفريعات المهمّة في المباحث.

❋: الإستشهاد بما في كتب المتعصبين الحاقدين على مذهب أهل‌البيت عليهم السلام.

❋: عدم التفريق بين المذهب كرأي و نظرية و بين عمل المنتسبين إليه.

و لعلّ من الأفضل ـ قبل الدخول في النقد التفصيلي لمباحث

هذالكتاب ـ أن نتعرض لتلك الملاحظات الآنفة بشيء من العرض و الإيضاح الموجز، مدخلاً لنقد أصل الكتاب و مناقشة مباحثه بالأدلّة التفصيلية بعون الله العزيز القدير، لئلاّ يتّخذ هذاالكتاب من لم‌يطّلع على مذهب الشيعة الإمامية مصدراً من مصادر هذا المذهب! كاشفاً عن أفكار و نظرات علمائه! و لئلاّ يتوهم أحد أنّ هذا الكتاب ـ مع مايبدوفيه من كثرة تتبع ـ يحكي بصدق عن معالم مدرسة أهل‌البيت عليهم السلام الذين قرنهم خاتم الأنبياء و الرسل محمد صلى الله عليه و آله بكتاب الله المجيد في حديث الثقلين ـ الذي تسالمت الأمة جمعاء على تواتره و قطعية صدوره ـ ففي مسند أحمد: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: **«إني قد تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي: الثقلين، و أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل‌بيتي، ألا و إنهما لن‌يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.»**(١)

و لنأت الآن على عرض هذه المؤاخذات واحدة بعد أخرىٰ:

١ـ مسند أحمد: ٥: ١٨١ و أنظر صحيح مسلم /كتاب الفضائل: ٤: ١١٠.

* : التقطيع والتحريف لأحاديث أهل البيت عليهم السلام و كلمات علماء الشيعة و مفكريهم

من الأساليب التي يتعمدها الكتّاب الحاقدون على الشيعة الإثني عشرية المتمسّكين بمذهب أهل البيت عليهم السلام، أسلوب تحريف المعاني المستفادة من رواياتهم و أحاديثهم عليهم السلام، أو من كلمات علماء الشيعة الإثني عشرية، و ذلك بأن يقتطع الكاتب جزءاً من متن الرواية أو الحديث أو الكلمة، لأنّه يشعّ بمعنى مغاير لمعنى المتن كلّه، فيأخذه ابتغاء الفتنة، و يهمل ذكر بقية المتن ليحول دون ظهور و اكتمال المعنى الحقيقي الذي يتشكّل من مجموع متن الرواية أو الحديث أو الكلمة.

و من المؤسف جدّاً أنّ دكتورنا المؤلف ناصر القفاري قد اجترح في كتابه هذه الخيانة أيضاً، و مع ذلك فقد منحته جامعة «محمد بن سعود» على كتابه هذا شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى!

و نقول في إطار حسن الظنّ بهذه الجامعة: لعلّ ذلك قد خفي على مسؤولي هذه الجامعة، و نأمل أن تكون سطورنا هذه ملفتة لانتباههم، ليقفوا من ناصر القفاريّ موقفاً جديداً صحيحاً صريحاً، فيسلبوا منه هذه الشهادة حفاظاً على سمعة الجامعة و صيانة لها من

لصوق تهمة الخيانة بها، و من كلّ مالا يليق باسم جامعة دينية في إقليم إسلامي مهم!

و لنأتِ على نماذج من هذه التقطيعات و التحريفات:

النموذج الأوّل:

الشيعة يصفون أئمتهم بصفات الله و يسمونهم بأسمائه!

يقدّم ناصر القفاريّ مقدّمة في هذا الصدد فيدّعي بأنّ الشيعة قد شّبهوا الخالق سبحانه بصفات المخلوقين، و أنّهم لم يكتفوا بذلك بل تطوّر الأمر إلىٰ وصفهم بعض البشر (الأئمّة) بصفات الله الواجبة له سبحانه! و نقل عن علماء من الشيعة بعض الرواياتالتي يظهر منها هذا المعنى، فقال في الجزء الثاني من كتابه[1]، ص ٦٧٧: «و قد ذكر المجلسي ستّاً و ثلاثين رواية تقول إنّ الأئمّة هم وجهالله، و يدالله، و في رجال الكشّي و غيره، قال عليّ ـ كما يفترون ـ: «أنا وجهالله، أنا جنب الله، أنا الأوّل، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن،...»

لِيُفهمَ قاريء كتابه و يوحي إليه أنّ هذه الرواية و نظائرها تثبت لعلّي أمير المؤمنين عليه السلام نفس صفاتالله سبحانه و أسمائه الحسنىٰ!

فهو يخاطب القاريء ـ في الجزء الثاني ص ٦٧٩ ـ قائلاً: «و هم يُلصقون هذه المفتريات بأهل البيت ليتخذوا منهم «عكّازة» يعتمدون عليها لنشر مذهبهم، و إلاّ فمن يقول «أنا الأوّل، أنا الآخر،

١ـ أصول مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية، عرض و نقد، دارالرضا للنّشر و التوزيع، الطبعة الثالثه، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

أناالظاهر، أناالباطن» هل يختلف عن فرعون الذي قال «أنـاربّكم الأعلىٰ»؟!».

الملاحظة:

أنظر كيف يشـبّه هـذا القـفاري قـول أمـيرالمـؤمنينعليه السلام بـقول فرعون!؟

لنسأل هذا القفاريّ: لو أن أحد الطلاّب نال المرتبة الأولىٰ فـي الصف الدراسي بعد ما نجح في الامتحان ثمّ قال: «أنا الأوّل» تُرىٰ هل يحكم هذا القفاري بكفر هذا الطالب، و بأنّه كفرعون و بلافرق، لأنّه وصف نفسه بصفة الله و سمّىٰ نفسه بأحد أسمائه الحسنىٰ!؟

فإن قال القفاري: إنّ بين القولين بوناً شاسعاً و فرقاً كـبيراً، لأنّ هذا الطالب قد اقترن قوله بقرينة يعلم السامع منها أنّ مراده هو أنّه الأوّل في الصف الدراسي ليس إلاّ.

قلنا: هذا صحيح، ذلك لأنّ الكلام المجمل أو الظاهر في معنىً ما ظهوراً أوليّاً إذا كان مقترناً بقرينة تفسّره فلابدّ مـن حـمله عـليها، و بذلك يرتفع الإجمال أو الظهور الأولي.

و المقام في ردّنا على ناصر القفاري في هذه النـقطة مـن هـذا القبيل، لأنّ النصّ الكامل للرواية التي نقلها العلاّمة المجلسيرحمه الله قد تضمّن أيضاً القرينة الدالّة علىٰ أنّ مراد أمير المؤمنينعليه السلام في قـوله «أنا الأوّل، أنا الآخر،...» ليس المراد الذي تعمّد الذهاب إليه ناصر القفاري بتقطيعه متن الرواية و تركه القرينة عـامداً ابـتغاء الفـتنة!

لنقرأنصّ الرواية كاملاً:

«سئل أميرالمؤمنين عليه السلام : كيف أصبحت؟

فقال: أصبحتُ و أنا الصدّيق الأكبر، و الفاروق الأعظم، و أنا وصيّ خير البشر، و أنا الأوّل، و أنا الآخر، و أنا الباطن، و أنا الظاهر، و أنا بكلّ شيء عليم، و أنا عين الله، و أنا جنب الله، و أنا أمين الله على المرسلين، بنا عُبدالله، و نحن خزّان الله في أرضه و سمائه، و أنا أحيي، و أنا أميت، و أنا حيّ لاأموت.

فتعجّب الأعرابيّ من قوله!

فقال عليه السلام : أنا الاوّل: أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله ، و أنا الظاهر: ظاهر الإسلام، و أنا الباطن: بطين من العلم، و أنا بكلّ شيء عليم: فإني عليم بكلّ شيء أخبر الله به نبيّه فأخبرني به، فأمّا عين الله: فأنا عينه على المؤمنين و الكفرة، و أمّا جنب الله: فأن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله، و من فرّط فيّ فقد فرّط في الله، ولم يجز لنبيّ نبوّة حتّى يأخذ خاتماً من محمد صلى الله عليه وآله ، فلذلك سمّي خاتم النبيين، محمّد سيّدالنبيين و أنا سيّد الوصيين، و أمّا خزّان الله في أرضه: فقد علمنا ما علّمنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقول صادق، و أنا أحيي: أحيي سنّة رسول الله، و أنا أميت: أميت البدعة، و أنا حيّ لاأموت: لقوله تعالى: «و لاتحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يُرزقون.»[1]»[2]

١ـ سورة آل عمران: الآية ١٦٩

٢- البحار: ٣٩: ٣٤٧ حديث رقم ٢٠

و المـــتابع يـــجد أنّ ســـائر الروايـــات التـــي نـقلها العـلاّمةُ المجلسي(ره)[1] محفوفة بالقرائن الكاشفة عن معانيها الحقيقية التـــي تعامىٰ عن رؤيتها ناصر القفاري عامداً!

و إذا كانت الروايات الصريحة المحكمة قرائن كاشفة عن المعاني الحقيقية في الروايات المتشابهة، فهل يصحّ لعاقل أن يترك القرائن الحاكمة و الكاشفة عن المعاني الحقيقية المسلّم بها و يأخذ بالمتشابه من المعاني!؟

إذا كان هذا لايصحّ لعاقل عادي أن يفعله، فما بالك بمن يدّعي العلم في مستوىٰ شهادة الدكتوراه!؟

النموذج الثاني:

هل التضرع إلىٰ الله تعالىٰ عند قبور الأئمة(ع) شرك!؟

قال مؤلّف الكتاب ناصر القفاري في الجزء الثاني ص ٥١٧:

«و في أكثر زياراتهم (أي الشيعة) يؤكدون في أثنائها و خاتمتها علىٰ الإنكباب علىٰ القبر و دعائه، فهذه زيارة للحسين أوصىٰ بها جعفرالصادق ـ كما يزعمون ـ.. و قُلْ: يا مولاي يا أبا عبدالله، يابن رسول‌الله، عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك، الذليل بين يديك، المقصّر في علوّ قدرك، المعترف بحقّك ،جاءك، مستجيراً بذمّتك، قاصداً إلىٰ حرمك، متوجّهاً إلىٰ مقامك ـ إلىٰ أن قال ـ ثمّ انكب علىٰ القبر و قلْ:

١- راجع: البحار: ٢٤ و البحار: ٩٤

يا مولاي أتيتك خائفاً فآمنّي، و أتيتك مستجيراً فأجرني... ثمّ انكب علىٰ القبر ثانية... إلىٰ آخر الزيارة التي يدعو فيها مخلوقاً من دون الله سبحانه، و يتضرّع اليه كأنّه يتضرّع أمامالله! فماذا يكون الشرك إذا لم يكن هذا شركاً!؟»

الملاحظة:

لمّا راجعنا بحارالأنوار للمجلسيّ‌ؒ علمنا آسفين أنّ ناصر القفاري في تعرّضه لهذه الزيارة المباركة كان قد تعمّد ترك و حذف هذه الجملة من متن الزيارة، و هي «**متوسّلاً إلىٰ الله تبارك و تعالى بك**»[1] بعد قوله «**متوجّهاً إلىٰ مقامك**»!

و هذا دليل صريح علىٰ أنّ الزائر بهذه الزيارة يعتقد بأنّ الأئمة‌ؑ عباد لله سبحانه، و لكنّهم عباد مقرّبون مكرمون لهم شأن خاص ومنزلة رفيعة و مقام محمود عند الله تبارك و تعالىٰ، و هم الوسيلة إلىٰ الله جلّ شأنه.

إذن فالزائر في الحقيقة يدعو الله وحده بهذه الزيارة، و يرجو الزلفىٰ لديه بواسطة أحد أئمة أهل‌البيت‌ؑ و باتخاذهم وسيلة إلىٰ الله تعالى ـ و هم أرفع و أجلّ و أشرف الوسائل إلى‌الله ـ يكون هذا الزائر قد امتثل أمر الله تبارك و تعالىٰ في قوله: «**يا أيّها الذين آمنوا اتّقواالله وابتغوا إليه الوسيلة و جاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**»[2]

١- راجع: البحار: ١٠١: ٢٥٩.

٢- سورة المائدة: الآية ٣٥.

فأين هذا من الشرك!؟ و أنّى هذا من دعاء المخلوق من دون الله سبحانه!؟ هل هذا إلاّ افتراء متعمّد و تهمة!؟

لاشكّ أنّ ناصر القفاري قد قرأ جميع فقرات هذه الزيارة، و قد تمّت الحجّة عليه بعد أن تعامىٰ عن تلك الجملة و نظائرها في متن الزيارة، كقول الإمام الصادق عليه السلام: **«فإذا توجّهت إلىٰ الحائر فقل: اللّهمّ إليك قصدتُ، و لبابك قرعتُ، و بفنائك نزلتُ، و بك اعتصمتُ، و لرحمتك تعرّضتُ و بوليّك الحسين عليه السلام توسّلتُ».**

تُرىٰ: هذا تضرّع إلىٰ الله وحده أم تضرّع إلى مخلوق من دون الله!؟ ثمّ أليس الإمام الحسين عليه السلام وليّاً من أعاظم أولياء الله تبارك و تعالى، و هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله و في أخيه الإمام الحسن عليه السلام: **«الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»**[1] و قال فيهما صلى الله عليه وآله: **«هما ريحانتاي من الدنيا»**[2]، و قال صلى الله عليه وآله فيهما أيضاً: **«ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا...»**[3].

١- راجع: سنن الترمذي: ٢: ٣٠٦ و مسند أحمد: ٣: و ٦٢ و ٨٢ و حيلة الأولياء لأبى نعيم: ٥: ٧١ و تاريخ بغداد: ٩: ٢٣١ و ٢٣٢ وكذلك: ١٠: ٩٠ و مصادر أخرىٰ كثيرة من منابع و مسانيد أهل السنّة

٢- راجع: صحيح البخاري في كتاب الأدب في باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته، عن ابن عمر، و رواه بطريق آخر أيضاً في كتاب بدء الخلق في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، و رواه أيضاً في الأدب المفرد. كما رواه الترمذي في سننه: ٣: ٣٠٦، و أحمد في مسنده: ٢: ٨٠ و ٩٣ و ١١٤ و ١٥٣ بطرق عديدة. و روته أيضاً مصادر كثيرة أخرىٰ لأهل السنّة (راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣: ٢٢٦ ـ ٢٢٩)

٣- راجع: البحار: ٤٣: ٢٧٨ و نزهة المجالس: ٢: ١٨٤ و الإتحاف في حبّ الأشراف: ١٢٩.

فهل التوسل إلىٰالله تعالىٰ بوليّ من أعاظم أوليائه شرك بالله سبحانه!؟ لنؤجّل تفصيل القول في مبحث التوسّل و الشفاعة إلىٰ مكانه المناسب من نقدنا التفصيلي لمباحث كتاب ناصر القفاري الذي اتّبع ـ على غير بصيرة ـ ابن تيمية في آرائه الشاذة التي ردّها و رفضها سائر علماء أهل السنّة ـ و ما تبعه عليها إلاّ السلفيّة دون سائر مذاهب أهل السنّة!

و لنا هنا أن نساءل القفاري: لماذا هذا التقطيع و التحريف المتعّمد!؟

هل لهذا التقطيع و التحريف محمل صحيح حتىٰ تبرأ ساحتك و ذمّتك، و تبرأ ذمّة الجامعة التي منحتك على هذا الكتاب شهادة دكتوراه!؟

النموذج الثالث:

راي الشيعة في مسالة رؤية الله سبحانه

لايخفىٰ أنّ غرضنا هنا ليس التعرّض إلىٰ مبحث رؤية الله سبحانه بالتفصيل، و نقل الأقوال في هذه القضية و نقدها و بيان الصحيح منها، بل مقصودنا هنا هو الإشارة الى تحريف و تقطيع ناصر القفاري لروايات الشيعة لينسب إليهم مالا يقولونه افتراءً عليهم و ابتغاء للفتنة.

لقد تعرّض ناصر القفاري في كتابه إلى مسألة إمكان رؤية الله سبحانه، فأثبت هذه الرؤية، و قال: الرؤية حقّ لأهل الجنّة بغير

إحاطة و لا كيفية، و مستدلاً بالآية الكريمة **«وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة»**(١)

و ذكر أنّ الأحاديث عن النبيّ ﷺ و أصحابه الدالّة على ذلك متواترة. و قال بعد ذلك: و قد قال بثبوت الرؤية الصحابة و أئمة الإسلام و المعروفون بالإمامة في الدين و سائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنّة و الجماعة، و خالف في ذلك الجهمية و المعتزلة و من تبعهم من الخوارج و الإماميّة، و قولهم باطل مردود بالكتاب و السنّة و إجماع السلف.(٢)

ثم ذكر ما يدلّ بزعمه على مدّعاه بصدد قول الشيعة من مصادرهم! و في آخر كلامه زعم أنّ نفي الرؤية الذي هو مذهب الشيعة خروج عن مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنّ بعض رواياتهم اعترفت بذلك (أي بثبوت الرؤية)، ثمّ نقل رواية عن ابن بابويه بهذه الكيفية قائلاً: فقد روى ابن بابويه القمّي، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: **أخبرني عن الله عزّوجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم.**

نقلها عن كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ١١٧ و عن بحار الانوار: ٤: ٤٤، و اكتفى بهذا المقدار، و زعم أنّ هذا دليل على ثبوت الرؤية عند مذهب أهل البيت عليهم السلام، و أنّ الشيعة يخالفون مذهب أهل البيت عليهم السلام و يذهبون إلى عدم ثبوت الرؤية!

١- سورة القيامة: الآية ٢٢ و ٢٣.

٢- راجع: أصول مذهب الشيعة: ٢: ٦٦٨ ـ ٦٦٩.

الملاحظة

و لمّا راجعنا كتاب التوحيد و كتاب البحار وجدنا أنّ للرواية تتمّة، و قد حذفها هذا الدكتور عامداً ليوحي إلىٰ قاريء كتابه بما يشتهيه هو من الإستدلال و النتيجة!!

أمّا أصل الرواية و متنها الكامل فهو:

... عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «قلت له: أخبرني عن الله عزّوجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟

قال: نعم، و قد رأوه قبل يوم القيامة!

فقلت: متىٰ؟

قال: حين قال لهم: ألستُ بربّكُم؟ قالوا: بلىٰ(١)

ثم سكت ساعة، ثمّ قال: و إنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة! ألستَ تراه في وقتك هذا؟!

قال أبوبصير: فقلت له: جُعلتُ فداك! فأُحدِّث بهذا عنك؟

فقال: لا، فإنّك إذا حدّثت به فأنكر منكرٌ جاهلٌ بمعنىٰ ما تقوله، ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه كفَر، و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالىٰ الله عمّا يصفه المشبهوّن و الملحدون.»

فالشيعة يذهبون إذن تبعاً لأئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى نفي الرؤية

١- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف / الآية ١٧٢: «و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين»

بالعين مطلقاً في الدنيا و الأخرة، لأنّ ذلك يستلزم أن يكون المرئي جسماً ذا أبعاد تحيط بها العين في نظرها إليه! تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً!

و تذهب الشيعة إلىٰ ثبوت الرؤية بالقلب و العقل بلافرق بين عالم الدنيا و الآخرة و غيرهما من العوالم.

فإذا كان مقصود ناصرالقفاري هو أنّ الشيعة تخالف الكتاب و النبيﷺ و الصحابة و الإجماع فى الرؤية بالقلب و العقل فهذا افتراء عليها بلادليل و لابرهان، لأنّ الشيعة تثبت هذه الرؤية، و إذا كان مقصوده هو أنّ الشيعة تخالف الوهابية لأنها تنفي الرؤية بالعين فهذا صحيح، إلاّ أنّ هذا الدكتور قد كفّر النبيﷺ و الصحابة و علماء الإسلام و أئمة الدين جميعاً! لأنّه زعم أنّهم يثبتون الرؤية بالعين التي تستلزم التجسيم الباطل بضرورة العقل و الدين، و لايمكن أن يلتزم بالقول بجواز الرؤية بالعين من له أدنىٰ معرفة بحقائق العقيدة الإسلامية، فما بالك بعلماء الإسلام و أئمّة الدين و النبيﷺ!؟

النموذج الرابع:

للشيعة ثلاثة عشر إماما بزعم القفاريّ!!

و لم‌يكتف القفاريّ في تقطيع و تحريف روايات أهل‌البيت عليهم السلام بالحذف منها، بل عمد إلىٰ ماهو أسوأمن ذلك، حيث تجرّأ علىٰ الإضافة إليها - من عنده - ما ليس في أصل المتن كما هو مدوّن و مثبت في المصادر.

فقد قال في الجزء الثاني من كتابه ص ٨٠٩.

«كما أنّك ترىٰ الكافي أصحّ كتبهم الأربعة قد احتوىٰ علىٰ جملة من أحاديثهم تقول بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر، فقد روىٰ الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي و إثناعشر إماماً من ولدي، و أنت يا عليّ، رزّ الأرض، يعني أوتادها و جبالها، بنا أوتد الله الأرض أنْ تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها و لم ينظروا.»

الملاحظة:

للقاريء الكريم أن يراجع كتاب «الكافي» الشريف، الجزء الأوّل، ص ٥٣٤ باب (ماجاء في الأثني عشر و النصّ عليهم)، حديث رقم ١٧، ليعجب حين يرىٰ أنّ نصّ الرواية ليس فيه كلمة «إماماً»! بل فيه «إنّي و إثناعشر من ولدي و أنت يا عليّ...».

و إذا علمنا أنّ كلمة «ولدي» تشمل الذكور و الإناث، علمنا أنّ مراده ﷺ أنّ فاطمة عليها السلام من هؤلاء الإثني عشر من ولده ﷺ، و هذا لايقدح في أنّ الأحد عشر إماماً من ولده ﷺ و ولد عليّ عليه السلام مع عليّ عليه السلام هم الأئمة الإثناعشر عليهم السلام عند الشيعة الإمامية، هذا فضلاً عن أنّ هذا الحديث ضعيف سنداً كما صرحّ به العلامة المجلسي في كتابه (مرآة العقول ٦: ٢٣٢).

و في الردّ التفصيليّ على مباحث كتاب القفاريّ سنتعرض إلىٰ جميع روايات هذا الباب من حيث الدلالة و السند.

النموذج الخامس:

تفويض الأمور من قبل الله تعالى إلى الائمة عليهم السلام:

و زعم القفاري قائلاً: «والشيعة تزعم في رواياتها أنّ الله سبحانه و تعالى «خلق محمّداً و عليّاً و فاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق الأشياء، فأشهدهم خلقها، و أجرىٰ طاعتهم عليها، و فوّض أمورهم إليها، فهم يُحلّون مايشاءون و يحرّمون ما يشاءون.» و جاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الإختصاص و المجلسي في البحار و غيرهما، عن أبي جعفر قال: «من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو حلال لأنّ الأئمّة منّا مفوَّض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، و ما حرّموا فهو حرام.»، هكذا يصرّحون بأنّ للأئمّة حقّ التشريع و التحليل و التحريم، فما أحلّوه من بيت مال المسلمين فهو حلال، و ماحرّموه فهو حرام... فجعل هؤلاء من أئمّتهم أرباباً من دون الله...»(١)

الملاحظة:

إنّ أوضح و أهمّ أهداف القفاري من وراء كتابه هو استفزاز حميّة المخاطب السنّي ضدّ إخوانه المسلمين من الشيعة! و نجد القفاري هنا ـ على جاري عادته في كتابه ـ يقتطع ما يشتهي

١-كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: ٥٨٧ ـ ٥٨٨

له من نصّ الرواية ليحرّف المعنىٰ الحقيقي الذي يشعّه تمام النصّ،من أجل تحقيق هذا الهدف الإستفزازي!

فحينما راجعنا ـ المصدر الذي أشار إليه القفاري ـ و هو كتاب الكافي الشريف،[1] و بحارالانوار[2] نقلاً عن الكافي ـ وجدنا أنّ القفاري حذف من هذا النصّ الشريف المرويّ عن الإمام الجوادعليه السلام أهم عبارة كاشفة عن معناه الحقيقي، و هي «**و لن يشاؤا إلاّ أن يشاء الله تبارك و تعالىٰ**»، و تأتي بعد عبارة «**فهم يحلّون ما يشاءون ويحرّمون ما يشاءون**».

و مع هذه العبارة يتمّ المعنىٰ الحقيقي لهذا النصّ الشريف ـ الذي أراد القفاريّ أن يحرّف معناه كما «يهوىٰ» بتقطيعه إياه عمداً ـ و المعنىٰ الحقيقي لهذا النصّ المبارك هو أنّ قلوبهم: «**أوعية لمشيئة الله**»[3] فبعد أنْ أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً، صارت مشيئتهم تجسيداً لمشيئة الله تعالى، فما يشاؤون إلاّ ما شاء الله، و لا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله.

و همعليهم السلام أوصياء رسول اللهصلى الله عليه وآله، المحللّون لحلاله، المحرّمون لحرامه، و حلال محمّدصلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، و حرامه حرام إلى

١- الكافي: ١: ٤٤١ حديث رقم ٥

٢- بحارالانوار: ٢٥: ٣٤٠ ـ ٣٤٢ حديث رقم ٢٤.

٣- في رواية أنّ الحجّةعليه السلام قال مخاطباً كامل بن إبراهيم المدني ـ الذي جاء يسأل الإمام الحسن العسكرىعليه السلام بعض الأسئلة ـ «وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله، فإذا شاء شئنا، و الله يقول «و ما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله».» (راجع: الغيبة / للشيخ الطوسي: ٢٤٦ ـ ٢٤٧ حديث رقم ٢١٦/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة).

يوم القيامة، و هذا من لوازم «الخاتميّة في النبوة»، إذ لانبي بعده ﷺ، إذن فما يحللّونه أوما يحرّمونه إنّما هو «بيان» لما أحلّه رسول الله ﷺ أو ما حرّمه، و القرآن و السنة النبوية الصحيحة يصدّقان الأئمّة عليهم السلام في كلّ ما يحللونه أو يحرّمونه، لأنّه نطقٌ عن الله و عن رسوله ﷺ.

و التفويض إليهم عليهم السلام في الحلال و الحرام ـ كأوصياء للرسول ﷺ ـ هو عين التفويض لرسول الله ﷺ، الذي فوّض الله إليه في ذلك التفويض التام في قوله تعالى: **«و ما آتاكم الرسول فخذوه، و مانهاكم عنه فانتهوا»**[1] لأنّ مشيئته مشيئة الله و قوله قول الله **«و ما ينطق عن الهوىٰ إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحىٰ»**[2]

و المتأملّ بدقّة في آية التفويض إلى سليمان عليه السلام: **«هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»**[3] يجد في قوله تعالى **«عطاؤنا»** ـ و ليس عطاءك ـ ما يشعر بالقيوميّة الإلهيّة و الإشاءة الربانيّة المهيمنة على هذا التفويض، فهذا التفويض المراد هنا ليس هو التفويض المقصود به التعطيل الذي ذهبت إليه اليهود بقولهم **«يدُ الله مغلولة، غُلّتْ أيديهم و لُعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء»**[4]

و سنفصّل القول في التفويض الممكن و التفويض الممتنع في الردّ التفصيلي على مباحث كتاب القفاري إن شاء الله تعالى.

١- سورة الحشر: الآية ٧.
٢- سورة النجم: الآية ٣ و ٤.
٣- سورة ص: الآية ٣٩.
٤- سورة المائدة: الآية ٦٤.

النموذج السادس:

هل الناس جميعا عبيد للأئمة عليهم السلام؟

و قال القفاري: «و الشيعة حينما اعتقدت في أئمّتها أنّهم جهة تشريع أكملت ذلك بدعواها أنّ النّاس جميعاً عبيد للأئـمّة لتـتضح صورة الشرك أكثر! قال الرضا: «**النّاس عبيد لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب.**» مع أنّ اللّه سبحانه يقول: «**ما كان لبشرٍ أن يؤتيه اللّه الكتاب و الحكم و النبوّة ثمّ يقول للنّاس كـونوا عباداً لي من دون اللّه**»[1] فالنّاس جميعاً عبيدللّه وحـده لالأحـد سواه، و لوكان من عباد اللّه المرسلين الذين آتـاهم اللّـه الكـتاب و الحكم و النبوّة، فكيف بأئمّة الشيعة، أو من تدعّي فيه الإمامة!؟»[2]

الملاحظة:

إنّ القفاريّ أراد أن يستفزّ القاري السنّي ضـدّ الشـيعة بـهذه المقولة التي تعمّد فـيها أيـضاً أن يـحرّف كـلام الإمـام الرضـا عليه السلام باقتطاعه جزءً منه و تركه الجزء الآخر الذي يتمّ به مراد الإمام عليه السلام.

كما كشف القفاريّ بهذه المقولة الساذجة عن جهله بـالمعنىٰ القرآني للعبودية، و عـن عـدم إحـاطته حـتّىٰ بأوليّـات المـعاني الإعتقادية!

١- سورة آل عمران: الآية ٧٩

٢-كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: ٢٨٩

لقد راجعنا ـ المصدر الذي أخذ عنه القفاري هذا النصّ كما أشار إليه في حاشية كتابه ـ و هو كتاب الأمالي [١] للشيخ المفيد، و بحارالأنوار [٢] نقلاً عن الأمالي، فوجدنا أنّ النصّ الكامل لقول الإمام الرضا عليه السلام و هو يخاطب جماعة من بنى هاشم في خراسان، منهم إسحق بن العبّاس بن موسىٰ، [٣] هو: **«يا إسحاق، بلغني أنكم تقولون: أنّا نقول: إنّ الناس عبيدلنا! لا و قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلته قطّ، و لاسمعته من أحدٍ من آبائي، و لابلغني عن أحدٍ منهم قاله، لكنّا نقول: النّاس عبيد لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدّين، فليبلغ الشاهد الغائب».**

فالإمام عليه السلام في هذا النصّ الكريم يفرّق بين نوعين من العبودية، فينفي عنه و عن آبائه عليهم السلام القول بأنّ الناس عبيد لهم (عبودية الخلقة)، و يقرّر القول بأنّ الناس عبيدلهم (عبودية الطاعة)، و هي غير تلك الأولىٰ.

و قوله عليه السلام بأنّ النّاس عبيد لهم في الطاعة، يعني: وجبت عليهم طاعة أئمّة أهل البيت عليهم السلام كما تجب على العبد طاعة السيّد، فهم عبيد لهم بهذا الإعتبار، و إطلاق العبد علىٰ التابع شائع كما يقول: فلان عبد

١-كتاب الأمالي / للشيخ المفيد: ٢٥٣ المجلس ٣٠ حديث رقم ٣

٢- بحارالأنوار: ٢٥: باب نفي الغلوّ في النبي و الأئمّة عليهم السلام : ص ٢٧٩ عن أمالي المفيد و أمالي الطوسي

٣- الظاهر كونه: إسحاق بن موسىٰ بن عيسىٰ العبّاسي كما في الكافي (في باب فرض طاعة الأئمّة عليهم السلام) فصحّف، و هو إسحاق بن موسىٰ بن عيسىٰ بن موسىٰ بن محمّد بن علي بن عبدالله بن العبّاس.

لهواه، أو عبد للشيطان.

و لقد قرّر القرآن الحكيم أنّ الطاعة و الإنقياد عبودية، فإنْ كانت طاعة لمن أمر اللّه بطاعته فهي طاعة للّه، ألم تسمع لقوله تعالى عن لسان موسىٰ: «**قال ربّ انّي لاأملك إلاّ نفسي و أخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين**»،[١] فإنّ موسىٰ عليه السلام لا يملك هارون عليه السلام، و لا يكون هارون عليه السلام ـ و هو حرٌّ ـ مملوكاً لموسىٰ عليه السلام إلاّ باعتبار الطاعة التامة و الإنقياد الكامل له، و هذا من أوضح مصاديق عبودية الطاعة.

و إنْ كانت طاعة لمن لم يأمر اللّه بطاعته و نهىٰ عن الانقياد له فهي شرك باللّه، ألم تسمع لقوله تعالى: «**و إنْ أطعتموهم إنكم لمشركون**»[٢]

و الشيعة ـ يا أيها القفاريّ ـ إنّما تطيع أئمّة أهل البيت عليهم السلام و تنقاد لأمرهم و تمتثل قولهم طاعة للّه تبارك و تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله، لما عندهم من الأدلّة القطعية على ذلك من القرآن و السنّة النبويّة الصحيحة، فهي إذن طاعة للّه و لرسوله أصلاً.

فافهم يا قفاريّ، و خذ التوحيد من عين صافية!

النموذج السابع:

العلاّمة الأميني رحمه الله و القول بتحريف القرآن!

زعم القفاري أنّ العلاّمة الأميني رحمه الله ـ مؤلّف كتاب الغدير ـ

١- سورة المائدة: الآية ٢٥

٢- سورة الأنعام: الآية ١٢١

و إنْ كان قد أنكر القول بتحريف القرآن في كتابه الغدير، ج٣، ص٩٣ إلاّ أنّه قد اعترف بوقوع التحريف في القرآن، فيكتابه الغدير، ج٩، ص٣٨٨، لأنه قال يصف بيعة السقيفة: «.. بيعة عمّت شؤمها الإسلام، و زرعت في قلوب أهلها الآثام... و حرّفت القرآن و بدّلت الأحكام»[١]

و زعم القفاري أنّ الأمينيﷺ قد «أورد آية مفتراة في نفس الكتاب»!![٢]

و نصّ هذه الآية المزعومة: «اليوم أكملتُ لكم دينكم بإمامته، فمن لم يأتمّ به و بمن كان من ولدي من صلبه إلىٰ القيامة فأولئك حبطت أعمالهم و في النار هم خالدون، إنّ إبليس أخرج آدمعليه السلام من الجنّة مع كونه صفوة اللّه بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم و تزلّ أقدامكم...»[٣]

الملاحظة:

بعد مراجعة كتاب الغدير، ج١، ص٢١٤ ـ ٢١٦ حسب إشارة القفاري ـ وجدنا أنّ ما زعم هذا القفاري أنه آية مفتراة كان جزءً من متن رواية[٤] نقلها الأمينىﷺ عن كتاب (الولاية في طرق حديث الغدير) للمؤرّخ و المفسّر المعروف الحافظ محمّد بن جرير الطبري

١-كتاب أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٢٠٠: ١٢٠١

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- رواها الطبري بإسناده عن زيدبن أرقم، عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله

المتوّفیٰ سنة ٣١٠ هـ ق، و كان هذا الجزء من الرواية مـفسّراً لقـوله تعالیٰ: «اليوم أكملت لكم دينكم...»(١)

فعلمنا أنّ مازعمه هذا القفاري كان محض كذب و افتراء!!(٢)

١- سورة المائدة: الآية ٣.

٢- و لم‌يكتف القفاريّ بفريته علي الإميني‌ﷺ بل قال في الحاشية: «و مع ذلك يزعم هذا الرافضي أنّ رسول‌اللهﷺ قال: إنها نزلت في عليّ، و حاول أن يموّه و يخدع القرّاء فنسب هذا الإفتراء لمحمدبن جرير الطبري السنّي، و هو محمّد بن جرير الطبري الرافضي إنْ صحّت النسبة إليه، فالرجل افترىٰ على الله و كتابه و رسوله و أئمة المسلمين». و بهذا يناقض القفاري نفسه في زعم كون ذلك آية مفتراة أوردها الأمينيﷺ! كما يكشف عن سقم فهمه و قلّة عقله و عدم ورعه العلمي حيث تسرّع بلا تثبّت و تدقيق فرفض أن تكون هذه الرواية ممّا رواه الطبري السنّي، ثمّ رجم بالغيب من مكان بعيد فنسبها إلى الطبري الشيعي بلا دليل!

***: الإفتراء على الشيعة الإمامية و اتهامهم بماليس فيهم!**

و من الأساليب التي اعتمدها ناصر القفاري تـعمّداً فـي كـتابه «أصول مذهب الشيعة» للتشنيع عـلىٰ الشـيعة الإمـاميّة، أسـلوب الافتراء عليهم و اتهامهم بماليس فيهم!، إذ لم يكتف بتقطيع روايات أهل البيت عليهم السلام و تحريف معانيها الحقيقية حتّىٰ تجرّأ على ارتكاب ما لايرتكبه العوام من المسلمين ممّن يخاف الله و اليوم الآخر، حيث اتهمهم بالشرك و البدعة في الدين، و نسب إليهم مالايرتضيه عوام الشيعة فضلاً عن علمائهم! و إليك القليل من كثير من هذه الإفتراءات والتهم:

١ـ الإستشفاء بتراب قبر الحسين عليه السلام من دون ربّ الأرباب!

قال ناصر القفاري في الجزء الثاني و في الصفحة ٥٩٤:

«تقول الشيعة ـ مخالفة بذلك النقل و العقل، و الطبّ و الحكمة ـ بأنّ تربة الحسين هي الكفيلة لشفاء الأدواء و الأسقام بشـتّىٰ أنـواعـها و أشكالها، و كأنّهم بهذا اعتقدوا فيما لاينفع بـالحسّ و المشـاهدة، و بالطبع و العقل، إعتقدوا فيه النفع، و زعموا أنّ الشفاء يتحقق مـن

تراب قبر لا من ربّ الأرباب!»

ثمّ ينقل القفاري دعاءً عندالإستشفاء بالتراب في ص ٥٩٥ قائلاً:

«ثمَّ يقوم و يتعلّق بالضريح و يقول: يا مولاي، يابن رسول‌الله، إني آخذٌ من تربتكَ بإذنك، أللّهمّ فاجعلها شفاء من كلّ داء، و عزّاً من كلّ ذل، و أمناً من كلّ خوف، و غنىً من كلّ فقر».

و نعلّق على هذا فنقول:

إنّ الشيعة لو كانت تعتقد بأنّ التراب وحده يشفي المريض على نحو الإستقلالية في الأثر التكويني بلا إرادة و إذن من الله تبارك و تعالى لكان هذا شركاً صريحاً، تماماً كالإعتقاد بأنّ الدواء الذي يصفه الطبيب للمريض يشفي ذلك المريض على نحو الإستقلالية بلاإرادة و إذن من الله تبارك و تعالى!

و لكن أنّى هذا من اعتقاد الشيعة الحقّ!؟ إنّه افتراء عليهم و تهمة تعمّد إلصاقها بهم الجهلة الحاقدون عليهم و على مذهب أهل البيت عليهم السلام!

فمتى كانت الشيعة تعتقد بأنّ التراب يشفي المريض على نحو الإستقلالية!؟ هذه كتب علمائهم، بل فاسأل عامة الشيعة، هل ترى فيهم أحداً يعتقد بأنّ الشفاء ليس من الله سبحانه بل من التراب!؟

ولو كان الأمر كما يزعم القفاري لتساوى عندالشيعة تراب الأرض كلّها، و تراب القبور كلّها، فلافرق ـ حينئذٍ ـ بين أيّ قبر و بين قبر سيّد شباب أهل الجنّة، ريحانة رسول‌الله صلى الله عليه وآله، سيّد الشهداء الإمام

الحسين بن عليّ عليه السلام الذي بذل مهجته في الله عزّوجلّ ليستنقذ عباده من الجهالة و حيرة الضلالة، و ليفضح المتقمصّ الخلافة بلااستحقاق، الطاغية الظالم الفاجر، الغاصب لمنصب رسول الله صلى الله عليه وآله، يزيد بن معاوية الذي كان معلناً بالفجور و الفسوق و الملاهي و شرب الخمور.

إنّ اعتقاد الشيعة بأنّ الشفاء في تربة الحسين عليه السلام لم ينشأ إلاّ من الدليل المعتبر عندهم الدالّ علىٰ أنّ الله تبارك و تعالى القادر على كلّ شيء، الذي جعل الشفاء في الأدوية و الأعشاب، هوالذي جعل الشفاء في تربة الحسين عليه السلام إكراماً لسيّدالشهداء و ريحانة رسول‌الله، و تعويضاً له ـ في جملة ما عوّضه به ـ عن استشهاده و مظلوميته و ما لاقىٰ من الرزايا العظمىٰ و المصائب المفجعة في سبيل‌الله يوم الطفّ، و الله على كل شيء قدير، يختصّ برحمته من يشاء و هو ذو الفضل العظيم.

أفلم يجعل الله تبارك و تعالى شفاء يعقوب عليه السلام في قميص ابنه يوسف عليه السلام حين ألقاه البشير على وجهه فارتدّ بصيراً؟

فهل يتوهم أحدٌ أنّ القميص شافىٰ يعقوب عليه السلام من دون‌الله؟ كلاّ و حاشا! و العجب أنّ ناصر القفاري نفسه نقل الدعاء مع جملته التي فيها تصريح بأنّ الشفاء بإذن الله لامن دون الله: «**بإذنك اللّهم فاجعلها شفاء من كلّ داء**»، فكيف عمي أو تعامىٰ عن أنّ الداعي بهذا الدعاء معتقدٌ بأنّ الله تبارك و تعالىٰ هوالمؤثر بالأصل لاغيره، و هو الذي جعل الشفاء في هذه التربة الحسينية المقدّسة كما جعل بإذنه

سائر الآثار في الأشياء!؟

و هذا لا يوجب الشرك ـ كما زعم القفاري! ـ قطعاً، و إلاّ لأصبح العالم كلّه مظاهر للشرك بالله سبحانه! لأن الله تبارك و تعالىٰ جعل الأمور بأسبابها، و من الأسباب اللوازم الطبيعية لكلّ موجود، و من الأسباب أفعال الملائكة في تدبير سنن هذا الكون، و الملائكة عمّال الله تبارك و تعالى، مأمورون من قبله، فهل يتوهم أحدٌ من أهل الإيمان أنّ الملائكة قادرة علىٰ ذلك من دون الله، أو أنها لاتحتاج إلى إذنه في كل أمر من أمور التدبير!؟

كيف لايكون الإستشفاء بواسطة الطبيب و الدواء شركاً عند أمثال القفاري، و يكون الإستشفاء بتراب قبر الامام الحسين عليه السلام بإذن الله شركاً!؟

٢ـ هل تتّخذ الشيعة قبور ائمّتهم قبلة!؟

و قال القفاريّ أيضاً في الجزء الثاني من كتابه في ص ٥٧٤:

«قال شيخ الشيعة المجلسي: إنّ استقبال القبر أمرٌ لازم، و إنْ لم يكن موافقاً للقبلة... و استقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة، و هو وجه الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة».

و قال القفاري أيضاً في الجزء الثالث ص ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤:

«و قد ذكر صاحب التحفة الإثناعشرية بأنّهم لايزالون يغلون في قبور الأئمّة و يطوفون حولها، بل و يصلّون إليها مستدبرين القبلة! إلى غير ذلك من الأمور التي يستقلّ لديها فعل المشركين مع

أصنامهم.

ثمّ قال: إنْ حصل لك ريب من ذلك فاذهب إلىٰ بعض مشاهدهم لترىٰ الحقيقة بعينك!»*

و نقول:

إنّ هذا افتراء بحت و كذب محض! فهذه بلاد الشيعة و مشاهدهم المشرّفة و مساجدهم العامرة، هل رأىٰ أحدٌ من الناس عامة و من المسلمين خاصة أحداً من المسلمين الشيعة يصلّي إلىٰ غير القبلة (جهة الكعبة المشرّفة في المسجد الحرام)!؟ أو سُمع أنّ أحداً من مجتهديهم و مراجعهم في التقليد و علمائهم يُفتي بذلك أو يرخّص لهم به!؟

بل جميعهم بلااستثناء يرون الصلاة إلىٰ غير جهة القبلة صلاة

---

*ـ و يحسنُ هنا أن ننقل نماذج من أقوال علماء أهل السنّة في هذه المسألة:

أ) فتوىٰ مالك: حينما سأله المنصور: «أستقبل القبلة و أدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ فقال: و لِمَ تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم إلىٰ الله تعالي يوم القيامة؟! بل استقبله و استشفع به فيشفعك الله تعالىٰ...».(راجع: وفاء الوفاء: ٤: ١٣٧٦ / للسمهودي / دار إحياء التراث العربي / و المواهب اللدنيّة: ٣: ٤٠٩ / للقسطلاني / دارالكتب العلميـة).

ب) و قال السمهودي «و عن أصحاب الشافعي يقف و ظهره إلىٰ القبلة و وجهه إلىٰ الحظيرة، و هو قول ابن حنبل».(راجع: وفاء الوفاء: ٤: ١٣٧٨).

ج) و قال الخفاجي: «استقبال وجهه ﷺ و استدبار القبلة مذهب الشافعي و الجمهور، و نقل عن أبي حنيفة».(راجع: شرح الشفا: ٣: ٥١٧ / للملّا علي القاري).

د) ابن الهمام محقّق الحنفيّة: «ما نقُل عن أبي حنيفة أنه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر: من السنّة أن تأتي قبر رسول الله من قبل القبلة و تجعل ظهرك إلىٰ القبلة و تستقبل القبر... و هو الصحيح من مذهب أبي حنيفة... و قول الكرماني: إنّ مذهبه بخلافه، ليس بشيء، لأنّه حيّ في ضريحه، يعلم بزائره، و من يأتيه في حياته إنّما يتوجّه إليه».(المصدر السابق).

باطلة (مع إمكان الإستقبال، في الفرائض يوميّة كانت أو غيرها، و في النافلة إذا أتىٰ بها المصلّي علىٰ الأرض حال الاستقرار، و أمّا النافلة حال المشي و الركوب و في السفينة فلايعتبر الإستقبال واجباً فيها». [1]

نعم، إنّ الشيعة ـ بل عامة المسلمين ـ تعنىٰ عناية شرعية فائقة و تهتمّ اهتماماً كبيراً بزيارة قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام كعنايتها و اهتمامها بزيارة قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، و ذلك لأنهم عليهم السلام أولياء الله الأعاظم، و أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، قد اصطفاهم الله بالإمامة، و قد وردت في شأنهم آيات قرآنيّة عديدة كاشفة عن مقامهم المحمود و منزلتهم الرفيعة عندالله تعالى، مثل آية المودّة: **«قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ»**[2]، و آية المباهلة: **«فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين»**.[3]

و كذا الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في علوّ شأنهم و سموّ مقامهم و تفضيلهم عندالله تعالى، مثل حديث الثقلين الذي تسالمت الأمّة جمعاء على تواتره و قطعية صدوره.

و من نافلة القول التذكير بأنّ هذا التكريم و التعظيم ليس بسبب

١- تحرير الوسيلة: ١: ١٤١ مسألة رقم ١ (المقدمة الثانية في القبلة).
٢- سورة الشورى: الآية ٢٣.
٣- سورة آل عمران: الآية ٦١.

اعتقاد بألوهيتهم، و العبودية لهم أرباباً من دون الله ـ و العياذ بالله ـ بل لتكريم الله و تعظيمه إيّاهم!

و لهذا السبب نرىٰ أيضاً أنّ كثيراً من أهل السنّة ـ ممّن يحبّون أهل البيت عليهم السلام و يرون لهم حق و حرمة القربىٰ من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ يزورون قبورهم في الأزمان الغابرة و في أيّامنا الحاضرة. كابن حبّان و ابن خزيمة و أبي علي الخلّال و غيرهم كثير.

نعم، الشيعة تزور قبر النبيّ صلى الله عليه وآله و قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام، و من الطبيعي أنّ الزائر يتوجّه حين الزيارة إلىٰ القبر،[1] سواء كان الزائر أثناء الزيارة متوجهاً نحو القبلة أو لم يكن، و بعد الزيارة يصلّي الزائر ركعتين لله تبارك تعالى، و يهدي ثوابها إلى صاحب القبر الشريف، و تسمّىٰ بصلاة الزيارة، و لاشك أنّ الزائر يصلّي هاتين الركعتين و هو مستقبل القبلة ـ لاالقبر ـ كما يستقبلها في الفرائض و النوافل.

فهل استقبال القبر حين الزيارة شرك!؟

و هل يمكن أن يتفوّه بهذا مسلمٌ عارف بأحكام الصلاة!، فما بالك بمن يدّعي العلم و يرىٰ نفسه من أهل الفضيلة العلمية!؟

إنّ جميع فقهاء الشيعة يرون أنّه يجب استقبال القبلة مع الإمكان في الفرائض يوميّة كانت أو غيرها، و كذلك يجب استقبال القبلة في النافلة إذا أتىٰ بها المصلّي علىٰ الأرض حال الاستقرار، و ليراجع ـ من يشك بهذا ـ جميع الرسائل العملية الفقهية لفقهاء الشيعة الإمامية.

١- كما هو فتوىٰ مالك في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (راجع المواهب اللدنيّة: ٣: ٤٠٩ / للقسطلاني / دار الكتب العلمية).

و من المعلوم بالقرينة أنّ كلام المجلسيﷺ ناظر إلىٰ استقبال القبر حين الزيارة لاأثناء الصلاة، و يشهد بذلك ذكره التحوّل الىٰ اليسار لزيارة قبر عليّ بن الحسين عليه السلام، ذلك لأنّه لايمكن أن يتوهّم أحدٌ أنّ التحوّل إلىٰ اليسار يكون أثناء الصلاة! و كلام المجلسيﷺ في نفسه واضح جليّ، و لايذهب إلى حمل كلامهﷺ على لزوم استقبال القبر أثناء الصلاة إلاّ من يريد تعمّد الإفتراء عليه!

فما أجرأ ناصر القفاريّ علىالله و رسوله و على عباده الصالحين!؟

٣ـ هل الشيعة هم الذين احدثوا الشرك في امّة محمدﷺ؟

و قال هذا القفاري فى الجزء الثالث من كتابه في ص ١٤٣٤:

«لقد كان لعقيدتهم في الإمامة و الإمام الأثر الواضح في إحداث الشرك و الشركيات في العالم الإسلامي، بل قررّ طائفة من أهل العلم أنّ الشيعةهم أوّل من أحدث الشرك و عبادة القبور في الأمة المحمّدية، فقد تحوّل غلوّ الشيعة في أئمتها إلىٰ غلوّ في قبورها، و وضعوا روايات لمساندة مسيرتهم الوثنيّة».

ثمّ أيّد ما اتّهم به الشيعة بقول ابن تيمية[1] فقال:

١ـ إبن تيمية: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن تيمية ولد سنة ٦٦١ هـ في مدينة حرّان في الشام، و توفي سنة ٧٢٨ هـ بسجن القلعة في دمشق، دخل السجن ثلاث مرّات بسبب عقائده الناشزة عن عقائد المسلمين و فتاواه الغريبة، عاش ٦٧ سنة و لم يتزوج (خلافاً للسنّة النبويّة!)

←

ولم يذكر هو و لاأحد غيره السرّ في عزوفه عن الزواج!.. أصبح فيما بعد الإمام الذي تنتسب إليه الفرقة الوهابية، و هي التي جدّدت عقائده و أفكاره الداثرة و روّجت لها!

من أفكاره في زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله و قبور الأنبياء و الصالحين: «ليس عن النّبي في زيارة قبره و لاقبر الخليل حديثاً ثابتاً أصلاً!» و قال أيضاً: «و الأحاديث الكثيرة المرويّة في زيارة قبره كلها ضعيفة بل موضوعة، لم يرو الأئمة و لاأصحاب السنن المتّبعة منها شيئاً!» (راجع: كتاب الزيارات: ١٢ـ ١٣ و نفس المصدر: ٢٢ ـ ٣٨)

و يرى ابن تيميّة أنّ جميع ماورد في الصفات من الآيات و الأحاديث يجب أن تُفهم على ظاهرها و ما يؤدّيه اللفظ من معنىً بلا تأويل! و على هذا قال: «إنّ الله تعالى في جهة واحدة هي جهة الفوق، و هو في السماء مستوٍ على العرش و قد امتلأ به العرش، و إنّه ينزل إلى السماء الدنيا ثم يعود، و إنّ له أعضاء و جوارح من عين و أيدي و أرجل» (راجع: منهاج السنة / ابن تيميّة: ١: ٢٥٠ و ٢٦٠ و ٢٦١)

وكان مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام عامة و لعليّ عليه السلام خاصة، وكان يناصبهم العداء، و يميل ميلاً تاماً لأعدائهم، و قد صنّف كتاباً إسمه (فضائل معاوية، و في يزيد و أنّه لايُسبّ) هذا مع أن السلف من هذه الأمة كانوا لايعرفون فضيلة واحدة لمعاوية، و قد نقل الذهبي أنّه قيل للنسائي ـ بعد أن صنّف في فضائل الصحابة ـ ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج!؟ حديث «أللهم لاتشبع بطنه»؟ فسكت السائل. (راجع سير أعلام النبلاء / للذهبي: ١٤: ١٢٩ / مؤسسة الرسالة).

و من بغض ابن تيمية لأميرالمؤمنين عليّ عليه السلام أنه كان يقول: «عليّ إنّما قاتل الناس علىٰ طاعته لا علىٰ طاعة الله!!.. فمن قدح في معاوية بأنه كان باغياً قال له النواصب: و عليّ أيضاً كان باغياً ظالماً.. قاتل الناس على إمارته وصال عليهم... فمن قتل النفوس علىٰ طاعته كان مريداً للعلوّ في الأرض و الفساد، و هذا حال فرعون!!» (راجع: منهاج السنة: ٢: ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٣٢)

و يكشف عن تحجّره و قلّة عقله فيقول بصدد قيام الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد: «هذا رأي فاسد، فإنّ مفسدته أعظم من مصلحته، و قلّ من خرج علىٰ إمام ذي سلطان إلاّ كان ما تولّد على فعله من الشرّ أعظم مما تولّد من الخير!!» (راجع: منهاج السنّة: ٢: ٢٤١)، ثم يهذي فيقول معتذراً ليزيد: «و يزيد ليس بأعظم جرماً من بني إسرائيل، كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء، و قتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء!» (منهاج السنة: ٢: ٢٤٧)

و لقد انقسم علماء أهل السنة في رأيهم بابن تيميّة إلى أقسام، فمنهم من نسبه إلى التجسيم لقوله: إنّ اليد و القدم و الساق و الوجه صفات حقيقية (لله!)، و إنّه مستوٍ

«قال شيخ الإسلام ابن تيمية: و أوّل من وضع هذه الأحاديث في

← على العرش بذاته!. و منهم من نسبه إلى الزندقة لقوله: إنّ النبي صلى الله عليه وآله لايستغاث به! و منهم من نسبه إلى النفاق لقوله في علي: إنه كان مخذولاً حيثما توجّه و إنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها! و إنّه قاتل للرئاسة لاللديانة و لقوله: إنّه كان يحبّ الرئاسة، و إنّ عثمان يحب المال. و لقوله: عليٌّ أسلم صبيّاً و الصبيُّ لايصحّ إسلامه! فألزموه بالنفاق لقول النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «و لايبغضك إلاّ منافق».

ثم لخصّ القول في ابن تيمية ابن حجر العسقلاني قائلاً:

«ابن تيمية عبدٌ خذله الله و أضلّه و أعماه و أصمّه و أذلّه...» و قال أيضاً: «الحاصل أن لايقام لكلامه وزن، و أن يرمى في كلّ وعرٍ و حزن... و يعتقد فيه أنّه مبتدع ضالّ مضلّ غالٍ، عامله الله بعدله، و أجارنا الله من مثل طريقته و عقيدته و فعله، آمين.» (راجع: الفتاوى الحديثية: ٨٦).

و من معاصريه الذين كتبوا إليه ينصحونه و يلومونه و يقرّعونه المحدّث و المؤرخ و الرجالي المعروف شمس الدين الذهبي، و كان من جملة ما كتب إليه في نصيحته:

«.. يا خيبة من اتّبعك فإنّه معرّض للزندقة و الإنحلال، لاسيّما إذا كان قليل العلم و الدين.. فهل معظم أتباعك إلاّ قعيد مربوط خفيف العقل!؟ أو عاميّ كذّاب بليد الذهن!؟ أو غريب و اجم قويّ المكر!؟ أو ناشف صالح عديم الفهم... يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلي كم تصادقها و تعادي الأخيار!؟ إلى كم تصادقها و تزدري الأبرار!؟ إلى كم تعظّمها و تصغّر العباد!؟ إلى كم تخاللها و تمقت الزهّاد!؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لاتمدح - و الله - بها أحاديث الصحيحين!؟ يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك! بل من كلّ وقت تغير عليها بالتضعيف و الاهدار، أو بالتأويل و الانكار...» (راجع: الوهابية دعاوىٰ و ردود / للشيخ نجم الدين الطبسي: ٥ و ٦ / نقلاً عن تكملة السيف الصقيل للكوثري: ١٩٠ - كتبه من خطّ قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبه هو من خطّ الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلائي، و قد كتبه من خطّ الذهبي، و ذكر شطراً منه العزامي في الفرقان: ١٢٩ / و أنظر الغدير: ٥: ٨٩.

و قال الشيخ الطبسي: هذا و قد حاول البعض إنكار هذه الرسالة و نفي صدورها عن الذهبي، و لكنها محاولة يائسة بلاطائل.)

و لعلّ هذه الرسالة هي الرسالة المسمّاة «النصيحة الذهبية لابن تيميّة» التي أرسلها الذهبي إليه يلومه فيها و ينتقد بعض آرائه و آراء أصحابه بها، و نشرت في دمشق سنة ١٣٤٧ هـ (راجع: سير أعلام النبلاء: ١: ٣٨ في المتن و الحاشية / مؤسسة الرسالة).

السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض و نحوهم، الذي يعطّلون المساجد و يعظّمون المشاهد التي يشرك فيها و يكذب فيها و يبتدع فيها دين لم ينزّل الله به سلطاناً، فإنّ الكتاب و السنّة إنّما فيهما ذكرالمساجد دون المشاهد.»

و نقول: لناعدّة ملاحظات على هذاالكلام...

الملاحظة الأولى:

لاتكون زيارة المشاهد المشرّفة و قبور الأئمة شركاً و بدعة إلاّ إذا كان الزائر يدعو فيها غيرالله، دعاء العبادة، أمّا إذا كان الزائر لايدعو فيها إلاّ الله وحده، و لايُنزل صاحب القبر إلاّ المنزلة التي أنزله الله و رسوله ﷺ، و لايتوسل بأصحاب هذه القبور المقدّسة إلاّ لأنهم أفضل الوسائل إلى الله تبارك و تعالى، و قد أمره الله في كتابه الناطق بالحقّ أن يبتغي إليه الوسيلة[1]، و ما يعظّمهم إلاّ لأنهم أولياءالله و أصفياؤه و أودّاؤه و أوصياء نبيّه ﷺ، فإنّ هذا ليس من الشرك في شيء، بل هو من صميم التوحيد في الإعتقاد و العمل!

و قد جرت السيرة المطّردة منذ صدر الإسلام في عصر الصحابة الأولين و التابعين لهم بإحسان علىٰ زيارة قبور تضمّنت في كنفها نبيّاً مرسلاً أو إماماً طاهراً أو ولياً صالحاً أو شهيداً عظيماً، و في مقدّم تلك القبور قبر النبي الأقدس محمد ﷺ.

١- سورة المائدة: الآية ٣٥: «يا أيهاالذين آمنوا اتّقواالله و ابتغوا إليه الوسيلة...»

الملاحظة الثانية:

لقد افترىٰ ابن تيمية الكذب على الشيعة ـ و تبعه على ذلك القفاري ـ بأنّهم أوّل من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد! مع أنّ أحاديث زيارة قبر النبيﷺ و السفر لزيارة المشاهد و السفر لزيارة قبره الشريف كثيرة، منها على سبيل المثال:

ما أخرجه الدارقطني بإسناده في السنن عن عبدالله بن عمر مرفوعاً:

« من زارني إلىٰ المدينة كنت له شهيداً و شفيعاً.»[1]

الملاحظة الثالثة:

إنّ عدم ذكر المشاهد المشرّفة في القرآن الكريم لايدلّ على أنّ زيارتها بدعة، و إلاّ لوجب القول بكون زيارة قبر النبيﷺ بدعة أيضاً، و كذا زيارة المسجد النبوي الشريف، و الصلاة فيه، و كلّ عمل لم يُذكر في القرآن بدعة أيضاً!! و هذا ممّا لانظنّ ابن تيمية و القفاري و أمثالهم يلتزمون به!

هذا مع أنّ زيارة قبر النبيﷺ و قبور الأولياء و العلماء و عبادالله

١- راجع: وفاءالوفاء / المجلّد ٣ / ج ٤ / ص ١٣٤٢ / ح ٦ / دار الكتب العلمية (بيروت / ط ١٤٠٤ هـ ق)، و في سنن الدار قطني / المجلّد ١ / ج ٢ / ص ٢٧٨ / دار المحاسن ـ القاهرة / عن عبد الله بن عمر، عن النبي ح ١٩٤: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»، و فيه ايضاً: ص ٢٢٨ / ح ١٩٢ عن ابن عمر، عن النبيﷺ: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي».

الصالحين بل قبور المؤمنين كافة أمر مستحبّ عند طوائف المسلمين:

هذا الشافعي يقول في فقهه:ج ١ ص ١٢٤: «و يستحبّ للرجال زيارة القبور»

و قال الشيخ زين‌الدين الشهير بابن نُجيم المصري الحنفي في البحر الرائق شرح كنز الدقائق للإمام النسفي /ج ٢ ص ١٩٥: «قال في البدايع: لابأس بزيارة القبور و الدعاء للأموات إن كانوا مؤمنين، من غير وطأ القبور لقوله ﷺ: **«أنّي كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور؟! ألا فزوروها.»** و لعمل الأمّة من رسول الله ﷺ إلىٰ يومنا هذا، و قد صرّح في المجتنىٰ بأنّها مندوبة»

أمّا ابن حجر المكّي الهيثمي فلمّا سُئل عن زيارة قبور الأولياء في زمن معيّن هل تجوّزها و هل‌تجوز الرحلة إليها؟ أجاب بقوله «زيارة قبور الأولياء قربة مستحبّة، و كذالرحلة إليها، و قول الشيخ أبي محمّد لاتُستحبّ الرحلة إلاّ لزيارته ﷺ، ردّه الغزالي بأنّه قاس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق.».[1]

هذا على سبيل المثال، و لغير هؤلاء من أعلام علماء أهل السنّة تصريحات كثيرة في هذا الصدد لايسعنا في هذا المختصر أن نذكرها.

١- راجع: الفتاوى الكبرىٰ الفقهية: ٢: ٢٤ / و للذهبي في الرّد على ابن تيمية بيان مهم جداً، فراجعه في (سير أعلام النبلاء: ٤: ٤٨٤ / مؤسسة الرسالة).

الملاحظة الرابعة:

لقد ادّعىٰ ابن تيمية أنّ الروافض و نحوهم يعطلون المساجد! و يعظّمون المشاهد التي يُشرك فيها و يكذب فيها و يبتدع فيها دينٌ لم يُنزّل الله به سلطاناً!!

و ما أسهل إثبات فساد هذه الدعوىٰ! إذ إنّ الشيعة منتشرون في العالم، و هذه بلدانهم و مدنهم، و تلك مساجدهم فهل هي معطّلة!؟ بإمكان كلّ من يريد معرفة الحقيقة أن يرحل إلىٰ بلاد الشيعة مثل لبنان و سوريا و العراق و إيران و بعض مدن الحجاز و باكستان و افغانستان و غيرها ليشاهد بعينيه مساجدهم و حضورهم أوقات الصلاة لإقامة الفرائض جماعة، و اجتماعاتهم فيها أيّام و ليالي المناسبات الدينية، و اعتكافهم فيها للعبادة في الأيام البيض من شهر رجب و شعبان و رمضان المبارك، و عقدهم الاحتفالات الدينية لمولد النبيّ صلى الله عليه وآله، و مواليد العترة الطاهرة عليهم السلام الذين أذهب الله الرجس عنهم وطهّرهم تطهيراً، وإقامة المآتم لوفياتهم عليهم السلام، وغير ذلك.

فهل هذا الإعتناء الفائق الشامل، و حضور العدد الهائل منهم في المساجد يسمىٰ تعطيلاً لها!؟

ما أنصف ابن تيمية في دعواه هذه. و لاأنصف الناقل لها في نقلها!

نعم، إنّ الشيعة تُعظّم المشاهد المشرّفة لأنها تضمّنت في كنفها قبور العترة الطاهرة التي شهد الكتاب بطهارتها و فضلها في مثل آية

التطهير[١] و آية المباهلة[٢] و آية التبليغ[٣] و غيرها من الآيات القرآنية التي أحصاها بعض المحدّثين و المؤلّفين فناف عددها على المائة، و كذا شهدت السنّة الصحيحة لهذه العترة الطاهرة بفضلها و منزلتها الخاصة في حديث الثقلين المتّفق عليه بين الفريقين[٤]، و حديث الكساء[٥]، و حديث المنزلة[٦] و كثير غيرها من الأحاديث الصحيحة المروية في الصحاح الستّة[٧] و غيرها.

مع هذا، أيكون تعظيم من عظّمه الله و رسوله شركاً و بدعة!؟

أم أنّ البدعة و خرق الإجماع و مخالفة الكتاب و السنّة في إنكار فضل من فضّله الله و رسوله و الصحابة و التابعون لهم بإحسان!؟

الملاحظة الخامسة:

و من افتراءات القفاري أيضاً ـ إتّباعاً لمنهج ابن تيمية ـ أنّ الشيعة يُغالون في أئمّتهم عليهم السلام! و لايخفىٰ على ذي البصيرة أنّ الغلوّ:

١- سورةالأحزاب: الآية ٣٣.

٢- سورةآل‌عمران: الآية ٦١.

٣- سورةالمائدة: الآية ٦٧.

٤- راجع مثلاً: مسند أحمد: ٥: ١٨١ و صحيح مسلم: ٤: ١١٠ و فيض القدير: ٣: ١٤ و الصواعق المحرقة:١٣٦.

٥- راجع مثلاً: مسند أحمد: ٤: ١٠٧ و ٦: ٢٩٢ و ١: ٣٣٠ و التاج الجامع للأصول: ٣: ٢٧٤ و نورالأبصار:١١.

٦- راجع: صحيح مسلم: ٤: ١٠٨ بطريقين، و صحيح البخاري ٥: ٣ و ٢٤، و مسند أبي داود: ١: ٢٩، و صحيح الترمذي ٢: ٣٠.

٧- راجع: كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستّة (الفيروز آبادي)

تجاوز الحدّ،[١] و الغالي: المتجاوز عن الحدّ بالإفراط، في مقابل «القالي»، و هو المتجاوز عن الحدّ بالتفريط[٢].

و الغلوّ في المخلوق أن تنسب إلىٰ إنسان من العلم و القدرة و الحياة و المقام على نحو الاستقلالية (من دون‌الله) ما يرفعه إلىٰ منزلة الألوهية ـ و العياذبالله ـ و لاشكّ أنّ هذا هو الشرك الذي هو الظلم العظيم!

و لكنّك إذا نسبت إلىٰ إنسان من العلم ما لايقوىٰ على حمله البشر و ما لايتأتىٰ من طريق الكسب و التحصيل، على نحو التعليم الخاص و الموهبة من الله تبارك و تعالى، لاعلى نحو الاستقلالية، فهذا ليس من الشرك في شيء، بل هو من صميم الإيمان التوحيدي لأنّ الله يختصّ برحمته من يشاء، و الله ذوالفضل العظيم! و هو على كلّ شيءٍ قدير!

و القول في القدرة و الحياة مثلاً أيضاً كالقول في العلم لافرق.

و في الكتاب العزيز عن لسان عيسى‌عليه‌السلام: **«... أنّي قد جئتكم بآية مِنْ ربّكم أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكون طيراً بإذن‌الله، و أبرىء الأكمه و الأبرص، و أحي الموتىٰ بإذن‌الله، و أنبّئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إنْ كنتم مؤمنين.»**[٣]

١- المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني: ٣٦٤.
٢- راجع: تفسير الميزان: ٦: ٧٦.
٣- سورة آل عمران: الآية ٤٩.

و فيه أيضاً عن لسان يوسف عليه السلام: **«قال لايأتيكما طعامٌ تُرزقانِه إلاّ نبئتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، ذلكما ممّا علّمني ربّي...»**[١]

و فيه أيضاً عن لسان سليمان عليه السلام: **«و ورث سليمانُ داود و قال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شيء، إنّ هـذا لهـو الفضل المبين»**[٢]

و فيه حول آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام: **«قال الذي عـنده عِلمٌ من الكتاب أنا آتيك به قـبل أنْ يـرتدَّ إليك طـرفك، فـلمّا رآه مستقرّاً عنده قال هذا من فضل ربّي...»**[٣]

و فيه حول الخضر عليه السلام: **«.. فـوجدا عـبداً مـن عـبادنا آتـيناه رحمةمن عندناو علّمناه من لدنّا عِلماً، قال له موسى هل أتّبعك على أن تعلّمن مِمّا عُلّمتَ رُشداً»**.[٤]

و فيه حول ابراهـيم عليه السلام: **«و كذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض و ليكون من الموقنين.»**[٥]

و فيه حول موهبة علم الغيب لمن ارتضى الله من رسول: **«عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول...»**[٦]

و فيه حول حياة من يقتل في سبيل‌الله: **«و لاتقولوا لمن يـقتل**

١- سورة يوسف: الآية ٣٧.
٢- سورة النمل: الآية ١٦.
٣- سورة النمل: الآية ٤٠.
٤- سورة الكهف، الآية ٦٥ ـ ٦٦.
٥- سورةالأنعام: الآية ٧٠.
٦- سورة الجن: الآية ٢٦ و ٢٧.

في‌سبيل‌الله أموات بل أحياء و لكن لاتشـعرون»[١] و **«و لاتـحسبنّ الذين قتلوا في سبيل‌الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون...»**[٢]

هذه بعض الأمثلة القرآنية على ما فضلّ الله تبارك و تـعالى بـه أنبياءه‌عليهم‌السلام و أولياءه‌عليهم‌السلام و الشهداء رضوان‌الله عليهم.

و لايشكّ مسلم مؤمنٌ بأنّ خاتم‌الأنبياء و المرسلين محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله أفضل خلق الله قاطبة (دنىٰ فتدلّىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ!)[٣]، إذن فجميع كمالات الأنبياء و الأولياء‌عليهم‌السلام و الشـهداء رضـوان‌الله عليهم متوفرة فيه لأنّه الأكمل‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، بل فيه من درجات الأكملية ما ليس في أحد من كُمّل خلق الله من الملائكة و الإنس و الجن قاطبة!

و لايشك مؤمن بأنّ عليّاً‌عليه‌السلام هو نفس رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله بصريح دلالة القرآن الكريم في آية المباهلة **«... فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فـنجعل لعـنة الله علىٰ الكاذبين»**[٤] فما لرسـول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله مـن الكـمال الأعـلىٰ فـهو

١- سورةالبقرة: الآية ٢٨.

٢- سورة آل‌عمران: الآية ١٦٩.

٣- سورة النجم: الآية ٨ـ٩.

٤- سورة آل عمران: الآية ٦١ / و في صحيح مسلم: ج ٥ / ص ٢٣ / كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل علي‌بن أبي‌طالب / ح ٣٢ / مؤسسة عزّالدين للطباعة والنشر: «حدّثنا قتيبة‌بن سعيد و محمّدبن عبّاد... قالا: حدّثنا حاتم (و هـو ابـن اسماعيل)، عن بكير بن مسمار، عن عامربن سعد بن أبي‌وقّاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهُنّ له رسول‌الله فلن أسبّه! لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم! سمعت رسول‌الله يقول له و خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول‌الله خلّفتني مع النساء و الصبيان! فقال له رسول‌الله: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من

←

لعلي عليه السلام أيضاً إلاّ النبوّة التي خُتمت بمحمّد صلى الله عليه وآله فلا نبيّ بعده.

و في آية التطهير: «**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً**»[1] دليل تام علىٰ أنّ كمالات النبي صلى الله عليه وآله ـ و هو أحد المخاطبين بهذه الآية ـ هي نفس كمالات أهل البيت عليهم السلام المخاطبين مع النبي صلى الله عليه وآله أيضاً بهذه الآية، ذلك لأنَّ المريد سبحانه واحد، و الإرادة واحدة، و التطهير واحد! فتأمّل!

إذن فالشيعة تقول بكل فخر و اعتزاز: إنّ عند أهل البيت عليهم السلام – و هم سواء ـ من الكمالات النفسية و الروحية و من العلم و القدرة و دوام الحياة بعد الموت نفس ما عندرسول الله صلى الله عليه وآله، و في المأثور من السنّة الصحيحة ما يؤكّد هذا البرهان القرآني و يصدّقه، بل في هذا المأثور من السنّة الصحيحة تفصيلات وافية لهذه الحقيقة القرآنية.

و في كلّ ما تنسبه الشيعة إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام من الكمال و العلم و القدرة و دوام الحياة، تنسبه إليهم على نحو الموهبة من الله تبارك و تعالى، لاعلى نحو الإستقلالية ـ فيكون شركاً ـ و العياذ بالله!

فأين هذا من الغلوّ الذي هو تجاوز الحدّ بالإفراط!؟

← موسىٰ إلاّ إنه لانبوّة بعدي! و سمعته يقول: لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله! قال فتطاولنالها، فقال: أدعوا عليّاً! فأتي به أرمد فبصق في عينه و دفع الراية إليه ففتح الله عليه!

ولمّا نزلت هذه الآية... فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم... دعا رسول الله عليّاً و فاطمة و حسناً و حسيناً، فقال: «أللّهمّ هؤلاء أهلي»، و انظر سنن الترمذي: ج ٥ / ٥٦٥ / دارالفكر، و انظر مسند أحمد: ج ١ / ص ١٨٥ / دارصادر

١ - سورةالأحزاب: الآية ٣٣.

و لو كان هذا غلوّاً لوجب أن يكون القرآن ـ و العياذبالله ـ قـد غالىٰ أيضاً فيما نسبه من علم و قدرة و معاجز خـارقة لأنـبياءالله و أوليائه عليهم السلام!

و... لقد أسمعت لو ناديتَ حيّاً و لكن لا حياة لمن تنادي!

٤ـ هل للتقية عند الشيعة اصل في كتاب‌الله و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله؟

و ممّا ذكره ناصر القفاري في كتابه هذا أنّ للشيعة ظاهراً و باطناً!

ولقد أراد بذلك أن يشنّع علىٰ الشيعة لقولهم بالتقيّة و عملهم بها في أوقات و ظروف خاصة!

إنّ المشنّعين على الشيعة لقولهم بـالتقيّة لم يـقفوا عـلى مـعناها و مغزاها، و لو تأمّلوا في الأمر و تبيّنوه، و رجعوا إلىٰ كتاب‌الله و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله، و سألوا أهل الذكر لوقفوا علىٰ أنها مما تحكم به ضرورة العقل و نصّ الكتاب و السنّة!

و هنا أمران مختلفان مـتباينان ربّـما خـلط الجـاهل أحـدهما بالآخر، و هما: النفاق و التقيّة! و قد ضـرب أعـداءالشـيعة هـذين الأمرين المتباينين بسهم واحد، و حكموا عليهما جـهلاً أو تـعمّداً بحكم واحد، و قالوا: إنّ التقيّة فرع من النفاق تجلّىٰ في الشيعة باسم التقيّة!

أفلايتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟!

لقد ندّد القرآن بالنفاق و المنافقين فقال: «**الأعـراب أشـدُّ كـفراً**

ونفاقاً»[١] و **«إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار»**[٢]، لكنّه حرّض علىٰ التقيّة في ظروف خاصة فقال: **«لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تُقاةً و يحذّركم الله نفسه و إلىٰ الله المصير.»**[٣]

فقوله: «إلاّ أن تتّقوا» استثناء من أهم الأحوال، أي أنّ ترك موالاة الكافرين حتم على المؤمنين في كلّ حال، إلاّ في حال الخوف من شيء يتقّونه منهم، فللمؤمنين حينئذٍ أن يُصانعوهم بقدر ما يُتّقىٰ به ذلك الشيء، لأنّ درء المفاسد مقدّم علىٰ جلب المصالح.

فلو كانت التقيّة من فروع النفاق فلماذا دعا إليها الكتاب الحكيم؟

و قال تبارك و تعالى: **«من كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أكره و قلبه مطمئنّ بالإيمان، و لكن من شرح بالكفر صدراً فعليه غضب من الله و له عذاب عظيم»**.[٤]

فتراه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كُرهاً، و مجاراة الكافرين خوفاً منهم بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، فلوكانت مداراة الكافرين في بعض الظروف الخاصة نفاقاً فلماذا رخّص بذلك الإسلام و أباحه، و قد اتّفق المفسّرون علىٰ أنّ الآية نزلت في جماعة أكرهوا علىٰ الكفر، و هم عمّار و أبوه ياسر و أمّه سمية

١- سورةالتوبة / الآية ٩٧.
٢- سورةالنساء/ الآية ١٤٥.
٣- سورةآل عمران / الآية ٢٨.
٤- سورة النحل/ الآية ١٠٦.

رضوان‌الله عليهم، و قتل أبوعمّار و أمّه، و أعطاهم عمّار بلسانه‌ما أرادوا منه، فقال قوم كفر عمّار! فقال ﷺ: **«كلاّ إنّ عمّاراً ملىء إيماناً من قرنه إلىٰ قدمه، و اختلط الإيمان بلحمه و دمه»، و جاء عمّار إلىٰ رسول‌الله ﷺ و هو يبكي! فقال ﷺ: «ما وراءك؟»، فقال: شرٌّ يارسول‌الله ﷺ ! ماتُركتُ حتىٰ نِلتُ منك! و ذكرتُ آلهتهم بخير!، فجعل رسول‌الله ﷺ يمسح عينيه و يقول: «إنْ عادوالك فعُدْ لهم بما قلت!» فنزلت‌الآية.**(١)

و هذا مؤمن آل فرعون، يكتم إيمانه تقيّة من قومه، و يتظاهر بأنّه علىٰ دينهم، ليخدم دينه و نبيّه تحت غطاء التقيّة، فيرشد قومه إلىٰ رصانة دينه ببيان بليغ صادر عن رجل محايد!: **«و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله و قد جاءكم بالبينات من ربّكم، و إنْ يكُ كاذباً فعليه كذبه، و إنْ يكُ صادقاً يُصبكم بعض الذي يعدكم، إنّ‌الله لايهدي من هو مسرفٌ كذّاب.»**(٢)

و ربّما خفي على أعداء الشيعة أنّ التقيّة عندهم تنقسم حسب‌الأحكام الخمسة، فكما أنها تجب لحفظ النفوس و الأعراض و الأموال، ربّما تحرم إذا ترتبت عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين، و خفاء الحقيقة عن الأجيال الآتية، أو تسلّط الأعداء على شؤون المسلمين و حرماتهم و مقدّساتهم، ولأجل ذلك نرىٰ كثيراً من عظماء الشيعة و أكابرهم رفضوا التقيّة في ظروف معيّنة و قاموا ضد

١- راجع: مجمع‌البيان: ٣٨٨:٣.

٢- سورة غافر / الآية ٢٨.

الطغاة حتىٰ قتلوا بسيوف الظلم، أو شنقوا بحبال الجور، أو صلبوا على أخشاب الطغيان.

منهم: سيّدهم الإمام أبوعبدالله الحسين سيدالشهداء عليه السلام و أنصاره المستشهدون بين يديه في كربلاء أو في سبيله في الكوفة و البصرة، و منهم: حجربن عديّ الكندي، و ميثم التمّار، و رشيدالهجري، و مئات غيرهم، كان الزمان و لم يزل يرعف بأمثالهم إلى أيامنا هذه...

و قد يتساءل بعضهم فيقول: إنّ الآية التي فيها **«إلاّ أن تتّقوا منهم تُقاةً»** و الآية التي فيها **«إلاّ من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان»** راجعتان إلىٰ تقيّة المسلم من الكافر، و لكن الشيعة يتّقون اخوانهم المسلمين، فكيف يُستدل بهما على صحة عملهم؟

والجواب هو: إنّ الآيتين و إن كانتا لاتشملان تقيّة المسلم من أخيه المسلم بالدلالة اللفظية، و لكنهما تشملان غير موردهما بنفس الملاك الذي سوّغ تقية المسلم من الكافر، فإنّ وجه تشريع التقية هو صيانة النفس، و العرض و المال من الهلاك و الدمار، فإنْ كان هذا الملاك موجوداً في غير مورد الآية فيجوز أخذاً بوحدة المناط.

و قد كان عمل الشيعة على التقيّة منذ تغلّب معاوية على الأمّة، و ابتزازه الإمرة عليها بغير رضاً منها، و صار يتلاعب بالشريعة الإسلامية حسب أهوائه، و جعل يتّبع شيعة عليّ عليه السلام و يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يبطش على الظنّة و التهمة، و سار الحكّام الأمويون من بعده على نهجه، ثمّ العبّاسيّون، و قد زادوا في الطين بلّة، و لذا

اضطر الشيعة إلىٰ كتمان أمرهم تارة، و التظاهر بـه تـارة أخـرىٰ، حسب ما تقتضيه طبيعة الظروف و نوع تعامل الحكام الطغاة معهم.

إنّ الأمر الإرهابي التعسفي الجائر الذي أصدره معاوية إلى جميع عمّاله في الآفاق: «انظروا إلىٰ من أقيمت عليهالبينّة أنه يُحبُّ عليّاً و أهل بيته فامحوه من الديوان، و أسقِطوا عطاءه و رزقـه» و «مـن اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهـدموا داره!»[١]، كـان و لم يزل الحكام الطغاة من بعد معاوية يعملون به إلى يومنا هذا!!

و لازال الشيعة يعانون الأمرَّيْنِ و تنزل بساحتهم الدواهـي فـي أقطار عديدة من عالمنا العربي و الإسلامي، بسبب جـور الحكّـام الطواغيت الممثّلين لإرادة الإستكبار الغربي عامة و لإرادة أمريكا خاصة في عالمنا الإسلامي، و بسبب انتشار التـيارات و الأفكـار المتحجّرة المتلبّسة بالعنوان الإسلامي و التي كانت مناشئها بمباركة و رعاية الدهاء الإستكباري الغـربي نـفسه، و التـي لاهـمَّ لهـا إلاّ اضطهاد الشيعة!

و لناعَوْد على مبحث التقيّة بـالتفصيل فـي الردّ المـفصّل عـلى مباحث كتاب ناصرالقفاري إن‌شاءالله تعالى.

٥- هل يسبّ الشيعة و يلعنون جميع الصحابة؟!

قال القفاري: «و قد كشف لنا الشيخ موسىٰ جارالله[٢] حينما زار

١- راجع: شرح نهج‌البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ١٥ عن المدائني.

٢- موسى جارالله: رجل من أهل تركستان، يعبّر عن نفسه في كتاباته تارة بموسىٰ

جاراللّه، و أخرىٰ بموسىٰ جاراللّه ابن فاطمة! و لايُعرف وجه اختيار انتسابه إلىٰ أمّه!؟ و لعلّ هذاالإسم الذي تسمّىٰ به إسم مستعارٌ اتّخذه لنفسه بعد أن ارتحل إلى بلاد قلب العالم الإسلامي لأنّه من الأسماء المألوفة في هذه البلاد!

صرّح في كتابه (الوشيعة) أنّه من متصوّفة الإسلام! و قال صاحب كتاب (نقض الوشيعة) في وصفه: «و يظهر من ملامحه حينما زارنا بمنزلنا في الكوفة أواخر عام ١٣٥٢ هـ ق أنه تجاوز الستين من عمره، يلبس اللباس الا فرنجي، و علىٰ رأسه قلنسوة من المخمل الأسود... يحسن العربية الفصحىٰ و الفارسية و التركية... و قد حضر المؤتمرالإسلامي المنعقد في القدس عام ١٣٥١ هـ ق، ثمّ جاء إلى العراق عام ١٣٥٢، ثمّ ذهب إلى إيران عام ١٣٥٣، ثمّ عاد إلى العراق في تلك السنة، و وجّه الأسئلة المشار إليها إلىٰ علماء النجف و الكاظمية، ثمّ سافر إلىٰ مصر و ألّف فيها و شيعته و طبعها عام ١٣٥٥، و هو باق في مصر إلىٰ الآن عام ١٣٥٩، و لسنا نعلم تفصيل أحواله...»(نقض الوشيعة / السيد محسن العاملي: ٨ / مؤسسة الأعلمي - بيروت /ط ٤/ ١٤٠٣ هـ ق - ١٩٨٣ م) و ورد في غلاف كتابه «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة / نشر مطبعة الگيلاني) أنّه ولد في عام ١٢٩٥ هـ ق و توفي عام ١٣٦٩ هـ ق.

و يبدو أنّ هذا الرجل كان ذا نشاط سياسيّ أو تجسسيّ أسخط عليه بعض الحكومات و أرضىٰ عنه أخرىٰ فقد قال يصف رحلته من تركستان إلى قلب العالم الإسلامي: «هاجرتُ بيتي و وطني في نهاية سنة ١٩٣٠ م هجرة إضطرارية!. وكانت قد سُدّت عليَّ كلّ طرق النجاة! حتّىٰ آثرت مضطراً أوعر الطرق و أصعبها و أطولها، فساقتني الأقدار من طريق التركستان الغربي إلىٰ الأقطارالإسلامية: إلىٰ التركستان الشرقي الصيني، فالبامير، فأفغانستان.

وبقيت أربعة أشهر و زيادة على متون الخيول حتّىٰ وصلت إلىٰ كابل... و أصعب عذاب لا أكاد أنساه هو أنّي بأيدي حرس كانت ترقبني و لاتتركني علىٰ اختياري في البحث و في الإقامة حيث أريد!... أقمت بكابل في الإنتظار أربعين يوماً ضيفاً عند حكومتها الكريمة!... ثمّ فتح‌اللّه جلّ جلاله علىٰ وجهي أبواب السفر بإشارة من جلالة الملك العظيم أعلى حضرت «نادرشاه»!... قد كنتُ سِحتُ من قبل في الهند، و جزيرة العرب، و مصر، و كل بلاد تركيا، و كلّ التركستان الغربي!...»(راجع: الوشيعة: ٢٢ و٢٣)

و من الإشارات التي كانت تؤكّد أنّ لهذا الرجل التركستانيّ المريب قصداً مسبّقاً و غاية تجسسيّة قوله: «و جُلت في بلاد الشيعة طولاً و عرضاً سبعة أشهر و زيادة، و كنت أمكثُ في كلّ عواصمها أيّاماً أو أسابيع، و أزور معابدها(!) و مشاهدها

ديار الشيعة فـي إيـران و العـراق، و حـضر مـجالسها و مـحافلها

➡و مدارسها، واحضرمحافلها و حفلاتها في العزاء و ا لمآتم، و كنت أحضر حلقات الدروس في البيوت و المساجد و صحونها، و المدارس و حجراتها، و كنت أستمع و لاأتكلّم بكلمة!!...»(الوشيعة: ٢٤)

إنّ شأن الباحث عن الحقيقة، المحقق في طلبها، هو أن يُظهر ما عنده من اعتقاد، و يحاور الآخرين حتّىٰ يميز الحقّ من الباطل، و الخبيث من الطيب، أمّا شأن المتجسّس فإتقانه الكتمان و المراقبة و الرصد و استظهار عدم المعرفة!

يقول السيّد محسن الأمين العاملي ﷺ: «زارنا بمنزلنا في الكوفة من أرض العراق أواخر عام ١٣٥٢ هـ ق حينما تشرّفنا بزيارة المشاهد الشريفة، و ذلك بعدما جاء من المؤتمر الإسلامي بالقدس، دخل علينا فسلّم، فرددنا عليه السلام و رحّبنا به، و قلنا له: هل أنت مسلم؟ فقال: أوما يكفي لبيان إسلامي السلام؟ فقلنا له: قد يسلّم غير المسلمين. و كانت هيأته في لباسه الإفرنجي و لباس رأسه و طول شعره ـ كما قدّمنا ـ يُظنّ منها أنّه موسوي (أي يهودي) غير مسلم!» (نقض الوشيعة: ١٠)

«... ثمّ زارنا في منزلنا بطهران، فسألناه عن منزله لنردّ له الزيارة، فقال: أنا نازل عند امرأة أرمنيّة!...»(نقض الوشيعة: ١٠)

و يبدو أنّ لموسىٰ جارالله التركستاني موهبة تخيليّة ناشئة ممّا يتوهمه في نفسه من عظمة فارغة عن كلّ محتوىٰ، إذ يقول في مقدّمة كتابه بعد دعاء «ربّ اشرح لي صدري، و يسّر لي أمري...»: كأنّي سمعت اللّه قال: «قد أُوتيت سؤلك يا موسىٰ» (الوشيعة: ٢٠)، ترىٰ ماذا كان يقول القفاري أو ابن تيمية أو هذا التركستانيّ لو أنّ أحداً من الشيعة قال ذلك!؟ إنّ أقلّ ما يمكن أن تصرخ به هستيريا هؤلاء هو أنّ هذا الشيعيّ لايؤمن بختم النبوّة لمحمّد ﷺ! و أنّه قد ادّعىٰ أنّه يوحىٰ إليه!! و من ثمّ فقد أشرك و ألحد و كفر!!

و لهذا الرجل التركستاني قدرة واضحة على التلاعب بالألفاظ، و على المغالطة، و على خلط الحق بالباطل، في طول كتابه و عرضه، فمن أقواله ـ على سبيل المثال ـ «أنا لا أكفرّ يزيد، لأنّ عمله أشنع و أفحش من كلّ كفرا و لاألعنه! لأنّ إسلام الشيعة للحسين بعد أن دعوه، و إطاعة الجيش و قائديه أمر يزيد ابتغاء لمرضاته أشنع و أفحش من أمر يزيد أضعافاً مضاعفة!»(الوشيعة: ٢٩)، و خذ مثالاً آخر على هذيانه: «أنا لاأنكر عصمة الأئمّة! فإنْ كانت الأئمّة معصومة فإنّي بفضل اللّه علينا و رحمته لنا في عصمة أئمتنا فرح أكثر من فرح الشيعة!!... إلاّ إنّ عصمة الأئمة لاتُغني الأمّة في شيء! و لاتغنيها عن شيء!» (الوشيعة: ٤٠)

و كتابه الوشيعة يطفح بالنصب و العداء لأهل البيت عليهم السلام عامة و لعليّ عليه السلام خاصة، و إنْ حاول جاهداً أن يعتّم على ذلك ما أمكنه التحايل و التلاعب بالألفاظ!

و حلقات درسها في ا لبيوت و المساجد و المدارس فاطّلع على ما يدور في واقع الشيعة من تكفير لمن رضي‌الله عنهم! و رضوا عنه! حتىٰ قال: «كـان أوّل شـي سـمعته و أنكـرته هـو لعـن الصـدّيق و الفاروق، و أمّهات المؤمنين: السيّدة عائشة و السيّدة حفصة، و لعن العصر الأوّل كافة، و كنت أسمع هذا في كلّ خطبة و في كلّ حـفلة و مجلس في البداية و النهاية، و أقرأه في ديباج الكتب و الرسائل، و في و أدعية الزيارات كلّها، حتّىٰ في الأسقية ما كان يسقي ساقٍ إلاّ و يلعن، و ما كان يشرب شارب إلاّ و يلعن. و أوّل كلّ حركة و كلّ عمل الصلاة على محمّد و آل محمّد، و اللعن على الصدّيق و الفاروق و عثمان، الذين غصبوا حقَّ علي ـ بزعمهم ـ و ظلموه، حتىّ أصبح السبّ و اللعن عندهم أعرف معروف يلتذّ به الخطيب، و يفرح عنده السامع.»

و هذا الواقع المظلم الذي تجري ألسنة أهله بـاللعن و التكـفير و السبّ ليس بغريب علىٰ من يرتضع منذ طـفولته كـره أصـحاب رسول‌الله صلى الله عليه وآله...»(١)

في هذا النصّ الذي انتقيناه من كـتاب القـفاري مـجموعة مـن الإفتراءات و الإدّعاءات الواهية، التي جرىٰ القـفاري فـيها عـلى عادته في إثارة المسلم السنّي ضد أخيه المسلم الشيعي! و جـميع هذه الإفتراءات تستحقّ ا لردّ عليها بالأدلة العلمية و الواقعية التـي

١ـ أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٢٩ ـ ١٣٣٠

تكشف عن زيفها و عدم صحّتها، إلاّ أنّ الردّ عليها جميعاً يُخرج هذا المدخل المختصر عن إطاره، و لذا فسنؤجّله إلى المواقع المناسبة في ثنايا الردّ التفصيلي علىٰ مباحث القفاري، و سنردّ هنا على الفرية المهمّة منها، و هي أنّ الشيعة تكره أصحاب رسول‌الله ﷺ و تسبّهم و تلعن العصر الأوّل كافة! على حدّ قول موسىٰ جارالله!

إنّ الشيعة يعتقدون أنّ: مصاحبة الرسول ﷺ و ملازمته فخر كبير و شرف لايناله إلاّ ذوحظّ عظيم، و كثير من صحابة الرسول ﷺ من المهاجرين و الأنصار رضوان‌الله تعالى عليهم بذلوا غاية المجهود و أغلىٰ ما يملكون في نصرة رسول‌الله ﷺ و إعلاء كلمة الدين الحنيف، و لم يألوا جهداً و طاقة في هذا السبيل حتّىٰ أثنىٰ عليهم المولى تبارك و تعالى الثناء العاطر في مواضع كثيرة من كتابة المجيد الذي لايأتيه الباطل مِن بين يديه و لامن خلفه، كما في قوله تعالى: **«والسابقون الأوّلون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضيالله عنهم ورضوا عنه و أعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم.»**[1] و في قوله تعالى: **«للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً و ينصرون الله و رسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة ممّا أوتوا و يؤثرون علىٰ أنفسهم**

١- سورة التوبة: الآية ١٠٠.

و لو كـان بـهم خـصاصة، و مـن يـوق شـحّ نـفسه فأولئك هـم المفلحون.»(١) و في قوله تـعالى: «مـن المـؤمنين رجـال صـدقوا ماعاهدوالله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من يـنتظر و مـا بدّلوا تبديلا».(٢)

و في قوله تعالى:«لقد رضيالله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثـابهم فـتحاً قريباً»(٣)

و يقول الإمام عليبن الحسين عليه السلام في دعائه «في الصلاة عـلى أتباع الرسل و مصدّقيهم»: «أللّهمّ و أصحاب محمّد خـاصّة الذيـن أحسنوا الصحابة، و الذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، و كانفوه وأسرعوا إلى وفادته، و سابقوا إلى دعوته، و اسـتجابوا له حـيث أسمعهم حجّة رسالاته، و فارقوا الأزواج و الأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء و الأبناء في تثبيت نبوّته، و انتصروا به، و من كـانوا منطوين على محبّته، يرجون تجارة لن تبور في مـودّته، والذيـن هجرتهم العشائر اذ تعلّقوا بعروته، و انتفت منهم القرابات إذسكنوا في ظلّ قرابته. فلا تنسَ لهم اللّهمّ ما تركوا لك و فيك، و أرضهم من رضوانك، و بما حاشوا الخلق عليك، و كانوا مع رسولك دعاة إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، و خـروجهم مـن سـعة

١- سورة الحشر: الآية ٨ و ٩

٢- سورةالأحزاب: الآية ٢٣

٣- سورة الفتح: الآية ١٨

المعاش إلىٰ ضيقه، و من كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم...»(١)

هذا هو نظر الشيعة و اعتقادهم في أصحاب رسول الله ﷺ الذين امتثلوا أمره في الصغيرة و الكبيرة، و أطاعوه حقّ طاعته، و ما بدّلوا ـ بعده ـ و ما أحدثوا و ما غيّروا.(٢)

---

١ - أنظر: الصحيفة السجاديّة الجامعة: ٤٣ ـ ٤٥.

٢ - عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «يردّ علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فَيُجْلَونَ عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابي؟ فيقول: إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا علىٰ أدبارهم القهقرىٰ»

(البخاري ٥: ٢٤٠٤ رقم الحديث ٦٢١٣ / منشورات دارابن‌كثير ـ بيروت) و عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ أنه قال: «يردن علّي أقوام أعرفهم و يعرفونني، ثم يُحال بيني و بينهم. و زاد أبو سعيد الخدري: فأقول: إنّهم مني فيقال: إنّك لاتدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيرّ بعدي.» (البخاري ٥: ٢٤٠٤ رقم الحديث ٦٢١٢ / دارابن‌كثير / تحقيق دكتور مصطفى ديب)، و أخرجه مسلم برقم ٢٢٩٠ ـ ٢٢٩١ في الفضائل.

و عن العلاء بن المسيّب، عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب، فقلت: طوبىٰ لك صحبت النبي ﷺ و بايعته تحت الشجرة! فقال: يا ابن أخي! إنك لاتدري ما أحدثنا بعده!» (البخاري ٤: ١٥٢٩ رقم الحديث ٣٩٣٧).

و هنا ملاحظة مهمة: و هي أنّ الذين يتشبثون بدعوىٰ عدالة جميع الصحابة يتذرّعون بحديث مزعوم عن النبي ﷺ، و هو: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، و هذا الحديث المزعوم فضلاً عن منشأه الأموي مخالف مخالفة صريحة لكتاب الله و السنّة الصحيحة و الحقيقة التأريخية، و فضلاً عن كلّ هذا، إليك ماقاله محقّقون من علماء الرجال من أهل السنّة:

قال الذهبي إنه حديث باطل و جعله من الموضوعات (راجع: ميزان الإعتدال: ١: ٤١٣).

و رمز له السيوطي به (ضعيف)، (راجع: الجامع الصغير / و شرحه للمناوي: ٤: ٧٦ رقم الحديث ٤٦٠٣، و قال المناوي في الشرح (فيض القدير): قال ابن‌الجوزي في العلل: لايصلح، و قال الذهبي باطل. و قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح: ذكر ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي أنه ضعيف واهٍ، و ذكر ابن حزم أنّه موضوع باطل (راجع: مرقاةالمفاتيح في شرح مشكاة المصابيح / علي القاري: ٥: ٥٢٣ / مؤسسة التاريخ ـ بيروت). و قال ابن منده: إسناده ساقط و الحديث موضوع

←

و لايخفىٰ على أحدٍ أنّ الشيعة لايرون و لايعتقدون بعدالة جميع الصحابة!

و هذا ما قررّه القرآن الحكيم، و السنّة النبوية الشريفة، و إليك بعض الأمثلة القرآنية:

١ـ حدّثنا القرآن الكريم أنّ منافقين هناك في مجموع صحابة رسول‌الله ﷺ حيث يقول تعالى: «**و ممّن حولكم من الأعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثمّ يردّون إلىٰ عذاب عظيم.**»[١]

و كان لحركة النفاق في زمن النبي ﷺ جهود جبارة في مواجهته ﷺ و في السعي الظاهر و الخفي لحرف المسيرة الإسلامية عن مسارها الصحيح، و قد تعرّض القرآن لأساليب المنافقين و أقوالهم في كثير من الآيات القرآنية، حتّىٰ خصّ عنوان سورة من سوره الشريفة باسمهم، و لاشك أنّ هؤلاء المنافقين كانوا من صحابة الرسول ﷺ بحسب تعريف الصحابة الذي يتبنّاه أهل السنّة.

٢ـ حدّثنا القرآن الكريم أنّ في الصحابة جماعةمن مرضىٰ القلوب، حيث يقول تبارك و تعالى: «**و إذ يقول المنافقون و الذين**

← (راجع: الفوائد: ٢٩ / دارالصحابة ـ طنطا / تحقيق مسعد عبد الحميد)، و قال المحقّق في الهامش: قال ابن عبدالبر: هذا إسناد لاتقوم به حجّة، و قال ابن حزم: هذه رواية ساقطة!. هذا فضلاً عن أنّ التشبيه نفسه في هذا الحديث ساقط أيضاً لأنّ الاقتداء بالنجوم كلّها في وقت واحد لايزيد السالك إلّا حيرة و ضلالاً، بل لايمكن عملاً!!

١- سورةالتوبة: ١٠١

في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غرورا».[١]

٣ـ و حدّثنا القرآن الكريم عن فسق بعض الصحابة كما في سبب نزول هذه الآية الكريمة: «**يا أيهاالذين آمنوا إنْ جاءكم فاسق بـنبأ فـتبيّنوا أن تـصيبوا قـوماً بـجهالة فـتصبحوا عـلىٰ مـا فـعلتم نادمين**»[٢]، حيث وصف الله تبارك و تعالى الصحابي: الوليدبن عقبة ابن أبي معيط بـ(الفاسق)،[٣] لمّا افـترىٰ عـلىٰ بـني المـصطلق مـا لم يصدر عنهم، و كادت أن تقع في حياة المسلمين آنذاك فتنة عظيمة لو لاالتدخّل الربّاني و نزول الوحي.[٤]

١- سورةالأحزاب: ١٢

٢- سورة الحجرات: ٦

٣- قال العلاّمة الطباطبائيﷺ: «أقول: نزول الآية في قصة الوليد بن عقبة مستفيض من طرق أهل السنّة و الشيعة، و قال ابن عبدالبر في الإستيعاب: و لاخلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمتُ أنّ قوله عزّوجلّ: «إنْ جاءكم فاسق بنبأ» نزلت في الوليد بن عـقبة» (راجـع: المـيزان فـي تـفسـير القـرآن: ١٨: ٣١٩ / مـؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت. و راجع: الإستيعاب في أسماء الأصحاب / المطبوع حاشية للإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ٥٩٥ / دارالكتّاب العربي ـ بيروت).

٤- قال ابن‌كثير: «و قد ذكر كثير من المفسّرين أنّ هذه الآية نزلت فـي الوليـد بـن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول‌اللهﷺ علىٰ صدقات بنى المصطلق، و قد روي ذلك من طرق، و من أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده، من روايةملك بين المصطلق، و هو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار والد ميمونة بنت الحارث أمّ المؤمنين(رض)، قال الإمام أحمد: حدّثنا محمّدبن أبي سابق، حدّثنا عيسىٰ بن دينار، حدّثني أنّه، سمع الحارث بن‌ضرار الخـزاعـي (رض) يـقول: قـدمت عـلى رسول‌اللهﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه و أقررت به، و دعاني إلىٰ الزكاة فأقررت بها، و قلت: يا رسول‌الله أرجع إليهم فأدعوهم إلىٰ الإسلام و أداء الزكـاة، فمن استجاب لي دفعت زكاته، و ترسل إليّ يا رسول‌الله رسولاً إبان كـذا و كـذا ليأتيك بما جمعتُ من الزكاة، فلمّا جمع الحارث الزكاة ممّن استجاب له و بـلغ الإبان الذي أراد رسول‌اللهﷺ أن يبعث إليه إحـتبس عـليه الرسـول و لم‌يأتـه،

←

و في تفسير قوله تعالىٰ في الآية ٢٤ من سورة الحجر: **«ولقد علمنا المستقدمين منكم و لقد علمنا المستأخرين»** وردت رواية عن ابن عبّاس قال: «كان امرأة حسناء من أحسن الناس تصلّي خلف رسول‌الله ﷺ، و كان بعض القوم يتقدّم حتىٰ يكون في الصفّ الأوّل لأن لايراها، و يستأخر بعضهم حتّىٰ يكون في الصف الآخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله هذه الآية.»(١) ففي الصحابة إذن من يتدنّىٰ مستواه الأخلاقي و يتسافل إلى هذا الحدّ!!

← و ظنّ الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالىٰ و رسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إنّ رسول‌الله ﷺ كان وقّت لي وقتاً يُرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، و ليس من رسول‌الله ﷺ الخُلف، و لاأرىٰ حبس رسوله إلاّ من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول‌الله ﷺ، و بعث رسول‌الله ﷺ الوليدبن عقبة إلىٰ الحارث ليقبض ماكان عنده مما جمع من الزكاة، فلمّا أن سارالوليد حتىٰ بلغ بعض الطريق فرق أي خاف، فرجع حتىٰ أتىٰ رسول‌الله ﷺ فقال: يا رسول‌الله إنّ الحارث قد منعني الزكاة و أراد قتلي! فغضب رسول‌الله ﷺ و بعث البعث إلىٰ الحارث (رض)، و أقبل الحارث بأصحابه حتّىٰ إذا استقبل البعث و فصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث فلمّا غشيهم قال لهم: إلىٰ من بُعثتم؟ قالوا: إليك. قال: و لِم؟ قالوا: إنّ رسول‌الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة و أردت قتله. قال (رض): لاوالذي بعث محمداً ﷺ بالحقّ ما رأيته بتّة و لاأتاني! فلمّا دخل الحارث علىٰ رسول‌الله ﷺ قال: منعت الزكاة و أردت قتل رسولي؟ قال: لا و الذي بعثك بالحقّ ما رأيته و لاأتاني، و ما أقبلتُ إلاّ حين احتبس عليّ رسول رسول‌الله ﷺ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى و رسوله. قال: فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) إلى قوله (حكيم)». (تفسير القرآن العظيم: ٤: ٣٠٩ / دارالمعرفة ـ بيروت).

١- تفسير الكشاف / للزمخشري: ٢: ٥٧٦ / و قال الزمخشري: «أخرجه الترمذي و النسائي و ابن ماجة و ابن حبّان و الحاكم و أبو يعلىٰ و أحمد و البزّار و الطبري و ابن أبي حاتم من رواية أبي الجوزاء أوس بن عبدالله عن ابن عبّاس».

و يكفينا في الدلالة على عدم عدالة بعض الصحابة متن هذه الآية الشريفة النازلة في مدح رسول‌الله ﷺ و الذين معه ممّن أخلص الصحبة له، حيث يقول تعالى: **«محمّد رسول‌الله و الذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوىٰ علىٰ سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار، وعدالله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجراً عظيماً.»**[١]

ذلك لأنّ ختام هذه الآية الشريفة كاشف تماماً عن أنّ الصحابة ليسوا جميعاً من «الذين آمنوا و عملوا الصالحات» بدليل كلمة «منهم».

إذن فهذا الثناء العظيم في هذه الآية الشريفة جاء على نحو التغليب، ذلك لأنَّ في مجموع من كان مع رسول‌الله ﷺ من يستحق هذا الثناء، و الدليل على هذا نفس ختام هذه الأية الشريفة، لأن الوعد الإلهي بالمغفرة و الأجر العظيم لم يشمل جميع من كان مع الرسول ﷺ، بل شمل «الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم» فقط، فتأملّ!

و السنّة الشريفة أيضاً تؤكدّ على أنّ بعض الصحابة ليسوا عدولاً، و في ثنايا هذا البحث مرّت بنا بعض الأمثلة من السنّة الشريفة على

١- سورة الفتح: الآية ٢٩

ذلك.

و من القرآن و السنّة الشريفة أخذ الشيعة نظرتهم إلى الصحابة، فهم يقدّسون و يُجلّون الصحابة الذين أخلصوا لله الصحبة مع رسولهﷺ فامتثلوا أوامره و نواهيه و وصاياه إمتثالاً تامّاً، و استقاموا على خطّ طاعتهﷺ حتّىٰ بعد موته، فما أحدثوا و ما غيّروا و ما بدّلوا تبديلا.

أمّا من بدّل و غيرّ و كتم ما أنزل الله من البيّنات و الهدىٰ فلاتقول الشيعة فيه إلاّ ما يقول القرآن المجيد: **«إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدىٰ من بعد ما بيّناه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون»**[١]، و من الواضح أنّ الصحابة ليسوا جميعاً كهؤلاء، فالشيعة إذن لايلعنون الصحابة جميعاً و لا يسبّونهم كما زعم القفاري و موسىٰ جارالله.

والشيعة في الأسقية عند شربهم الماء يتذكّرون عطش الحسينعليه السلام في كربلاء و كيف قتله الظالمون ظامئاً و أبوا أن يسقوه قطرة من الماء حتىٰ مضىٰ شهيداً مظلوماً، فيلعنون قاتليه و على رأسهم عمربن سعد بن أبيوقّاص قائد الجيش الأموي الذي جرت علىٰ يديه فاجعة عاشوراء، و يلعنون أميره يزيدبن معاوية، و كلّ من اشترك في قتل سبط رسول اللهﷺ من قريب أو بعيد... فإذا كان ذلك يغيظ القفاري و موسىٰ جارالله و ابن تيمية و إحسان ظهير و من

١- سورة البقرة: الآية ١٥٩.

وراءهم... فليموتوا بغيظهم... و من رضي بعمل قوم أُشرك في عملهم و من أحبّهم حُشر معهم.

٦- هل ادخل الخميني إسمه في الأذان؟!

و نقل ناصر القفاري في كتابه هذا عن «موسىٰ الموسوي» المعروف بانحرافه عن مذهب الشيعة أنّه قال: «أدخل الخميني اسمه في أذان الصلوات! و قدّم اسمه حتّىٰ علىٰ اسم النبيّ الكريم! فأذان الصلوات في إيران بعد استلام الخميني للحكم و في كل جوامعها كما يلي: «أللّه أكبر، أللّه أكبر، خميني رهبر» أيّ أنّ الخميني هو القائد، ثمّ أشهدُ أنَّ محمّداً رسول‌اللّه!»[1]

إنّ هذا الإدّعاء و الإفتراء أسخف من أن يُردّ عليه! إذ لايصدّقه أيُّ عاقل! فالأذان الذي يُذاع في أوقات الصلاة من إذاعة الجمهورية الإسلامية في ايران منذ انتصار الثورة الإسلامية فيها هو هذا الأذان الشرعي المعهود لاغير! و هذا أمر لايخفىٰ على أحد من الناس، و من المستبعد جدّاً أن لايكون ناصر القفاري قدسمعه مراراً من إذاعة إيران، أم أنّ القفاري هذا يذهب به سوء الظنّ إلى درجة التصوّر أنّ لإذاعة إيران قناة خاصة تبثّ ذلك الأذان الذي افتراه موسى‌الموسوي! و هذه القناة الخاصة لايتمكن غيرالإيرانيين من سماعها!؟

١- أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣: ١٣٩٢.

ما أكثر الحمقىٰ الذين يحملون شهادات علمية تشريفية لاحقيقة لها في هذاالعالم!!

٧ـ هل يتعاون الشيعة مع اليهود!؟

و نقل هذا المؤلّف الذكيّ البارع، عن كتاب «الحكومة الإسلاميّة» لآية الله العظمىٰ و المرجع الديني الكبير و القائد الفذّ السيّد الخميني، جملة من الصفحة ١٣٥ و هي:

«و إذا عزمنا علىٰ إقامة حكم إسلامي سنحصل على عصا موسىٰ و سيف عليّ ابن أبي طالب»

ثمّ يقول ناصر القفاري:

«والجمع بين عصا موسىٰ و سيف عليّ بن أبي طالب كناية ـ فيما يبدو لي ـ عن تعاون اليهود مع الشيعة في دولة الآيات، و هذا ما وقع بعضه في دولة الخميني كما في فضائح صفقات الأسلحة، والتعاون السريّ بينهما الذي تناقلته وكالات الأنباء و اشتهر أمره»[١]

و نقول:

شرُّ البليّة ما يُضحك! إذ يبدو أنّ ناصر القفاري هذا صفر اليدين تماماً من معرفة البلاغة و الكناية خاصة و فنون الكلام الرمزي، ذلك لأن التوراة عرفاً هي رمز اليهود، كما الإنجيل رمز النصارىٰ،

١ـ نفس المصدر: ٣: ١٤١١.

و القرآن رمز المسلمين، أمّا عصا موسىٰ فهي رمز التأييد الإلهي الغيبيّ و القدرة الربانيّة الخفيّة و التدخل السماويّ لنصرة موسىٰ عليه السلام على فرعون بالمعجزة الخارقة التي قلبت عصا خشبية لاتختلف عن أيّ عصا عادية إلىٰ كائن آخر حيّ يلقف كلّ الحبال و العصيّ التي حملت إفك السحرة، حتّىٰ انقلب السحرة أنفسهم مؤمنين لايرهبون الموت و لاماتوعّدهم به فرعون من أقصىٰ العقوبات و التنكيل، و آثروا لقاءالله على هذه الدنيا الزائلة، و هذا الرمز يتمسّك به كلّ مؤمن متوكلّ على الله وحده و هو ينتظر التدخّل السماوي و التأييد الربّاني لنصرته على أعدائه الذين يفوقونه عدّة و عدداً!

أمّا سيف علي بن أبي طالب عليه السلام فهو رمز الجهاد الإسلاميّ و القوة الإيمانيّة الضاربة التي نافحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أحواله كلّها و غزواته عامة، و في بدر و أحد و الخندق و حنين خاصة، حتى نادىٰ المنادي في السماء يوم أحد:

«لا سيف إلاّ ذوالفقار و لافتى إلاّ علي»(١)

و حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ صاحب هذا السيف يوم الخندق حينما برز إلى عمروبن ودّ العامري:

«برز الإيمانُ كلّه إلىٰ الشرك كلّه!»(٢)

١- راجع مثلاً: تاريخ الطبري: ٢: ١٩٧ / مؤسسة الأعلمي بيروت، و روي أنّ ذلك كان قد حصل أيضاً في موقعة بدر (راجع: تاريخ ابن عساكر / ترجمة الامام عليبن أبيطالب عليه السلام / تحقيق المحمودي ١٥٨/١ رقم الحديث ١٩٧).

٢- راجع: شرح نهج‌البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩: ٣٤٤ / داراحياء التراث العربي - بيروت.

إذن فسيف علي عليه السلام: رمز - في العبارة الأدبية - للإخلاص الإيماني و الجهاد الإسلامي و شجاعة أهل اليقين الذين يستأنسون بالموت استئناس الطفل بمحالب أمّه!

فعصا موسىٰ و سيف علي عليه السلام رمز لاجتماع التأييد الربانيّ الغيبيّ مع القوة الجهادية و الشجاعة الإيمانية، اللذين مع اقترانهما يكون النصر!

و لكنّ المنافقين لايفقهون!

أمّا ما نسبه ناصر القفاري إلىٰ دولة الآيات - حسب تعبيره! - من التعاون مع اليهود! فقد صحَّ المثل قديماً: رمتني بدائها و انسلّت!!

تُرىٰ هل يخفىٰ علىٰ كلّ ذي بصيرة و وعي و دراية سياسية أنّ الدولة المعادية للكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين حقّ العداء هي الجمهورية الإسلاميّة في إيران و أنّ جميع حكومات منطقة قلب العالم الإسلامي ذات علاقات وطيدة مع هذا الكيان الغاصب مُعلَنة أو خفيّة، و هل نسي ناصر القفاري أنّ أوّل قرار صدر عن زعماء الثورة الإسلامية و قادتها في ايران بعد انتصار الثورة هو قطع العلاقات مع العدوّ الصهيوني و كيانه السياسي إسرائيل، و إخراج أعضاء السفارة الإسرائيلية من إيران، و تسليم السفارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية؟

فهل يُسلم القفاري لهذه الحقيقة الواضحة كما الشمس في رابعة النهار فيؤمن بها؟ أم يُنكسُ على رأسه - كماالعادة - فيتعامىٰ عنها!؟ و ربّما يشتدُّ به غباؤه الخارق فيقول: بما أنّ الشيعة يعملون بالتقيّة

فلا يبعد أن يكون هذا من مصاديق تعاون الشيعة مع اليهود!!

هكذا! و شرّ البليّة ما يضحك!

ثُمَّ لنسأل القفاري: من أخرج إسرائيل مرغمة خاسئة منهزمة من جنوب لبنان؟ هل تمّ ذلك ببطولة حكّام الأنظمة العربية و أمرائها أم ببطولة شباب الشيعة في جنوب لبنان (حزب‌الله)؟

أولئك الشباب المؤمنون الذين بدأوا جهادهم المقدّس لتحرير بلادهم من الإحتلال اليهودي أواسط الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، متوكّلين على الله تبارك و تعالى، طالبين الشهادة في سبيله، فراع إسرائيل اذ ذاك أنها أمام عدوّ جديد صلب مستميت، لاتأخذه في‌الله لومة لائم، حتّىٰ حارت إزاءه ماذا تصنع و هو يشتري الموت!؟ حتّىٰ إذا تتابعت العمليات الفدائية الإسلامية و تعاظمت الخسائر اليهودية، لم‌تجد إسرائيل بُدّاً من الإنسحاب مخزيّة مدحورة!

و لئن أنكر القفاري هذه الحقيقة الساطعة، فليس يصحُّ في الإفهام شيء ـ بعدها ـ إذا احتاج النهار إلى دليل! ثمّ هل يعلم القفاري أنّ التراث الروائي الشيعي يصرّح بأنّ الشيعة هم الذين سيقضون على اليهود؟

فليطالع القفاري هذه الحقيقة في هذا التراث بتأمّل و إنصاف!!، وليته يبقىٰ حيّاً إلى حين تحقق ذلك ـ زوال إسرائيل ـ لعلّه يؤمن بتلك الآية يومذاك فيكسر قلمه الجاني على إخوانه الشيعة!!

٨ـ هل يلعن الشيعة الأمّة الإسلامية كلّها؟!

يقول القفاري: «و لعن الأمّة الإسلاميّة و تكفيرها ممّا استفاض في كتب الشيعة!، و لذلك فإنّ أدعية الزيارة و المشاهد التي يلهج بهاالشيعة و يردّدونها لاتخلو من لعن لهذه الأمّة المباركة الوسط!

ففي زيارة أميرالمؤمنين عليّ يقولون: «لعن الله من خالفك، و لعن الله من افترىٰ عليك و ظلمك، و لعن‌الله من غصبك، و لعن‌الله من بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله منهم بريء لعن‌الله أمّة خالفتك، و أمّة جحدتك، و جحدت ولايتك و أمّة تظاهرت عليك، و أمّة حادت عنك و خذلتك، الحمدُلله الذي جعل النار مثواهم و بئس الورد المورود، و بئس ورد الواردين... أللّهمّ العن الجوابيت و الطواغيت و الفراعنة، و اللاّت و العزّىٰ، و كلّ ندٍّ يدعىٰ من دون الله، و كلّ مفترٍ، أللّهمّ العنهم و أشياعهم و أتباعهم و أولياءهم و أعوانهم و محبيّهم لعناً كثيراً...»[1]

و هذه اللعنات التي تجري على ألسنة هؤلاء مكان التسبيح و التهليل لها آثارها في تعبئة نفوسهم حقداً و كراهية للأمّة و دينها...»[2]

الملفت للإنتباه هنا أيضاً ـ بعد مراجعتنا لكتاب من لايحضره الفقيه ـ أنّا وجدنا مقطع (اللعن) في متن هذه الزيارة المباركة يبدأ بعبارة: «**و لعن‌الله من قتلك**» ثمّ تأتي بقيّة العبائر الأخرىٰ، لكنّ

١ـ نقل القفاري هذا النص عن كتاب من لايحضره الفقيه: ٢: ٣٥٤.

٢ـ أصول مذهب الشيعه: ٢: ٩١١ ـ ٩١٢.

القفاري حذف العبارة الأولىٰ!! ثم حين وصل في داخل المتن إلى عبارة «**و أمّة قتلتك**» حذفها أيضاً!! ثمّ حين وصل إلى عبارة: «**ألّلهمّ العن قتلة أنبيائك و قتلة أوصياء أنبيائك بجميع لعناتك و أصلهم حرّ نارك**» حذفها أيضاً!![1]

ماذا أراد القفاريّ هنا من وراء هذا الحذف المتعمّد على جاري عادته!؟

لقد أراد أن يغيّر جوّ مقطع هذا اللعن الخاص بمن قاتلوا أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام و تظاهروا عليه و جحدوا ولايته و حادوا عنه، ليخلق منه جوّاً آخر يُستظهر منه أنّ اللعن يشمل الأمّة كلّها منذ وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى يوم شهادة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام.

و قد أراد القفاري بهذا أيضاً أن يستثير و يستفزّ المخاطب السنّي ضد أخيه الشيعي، لكنّه غفل عنّ أنَّ هذه الأمّة الإسلاميّة المباركة لم تزل حيّة واعية لما يُريدبها (دعاة التفريق)، و لم يزل فيها مِن أبنائها من يستطيع كشف ألاعيبهم، و يرجع المتون إلىٰ مصادرها و أصولها ليفضح مدى الحذف و التشويه و التلاعب!

إنّ الأصل الصحيح التام لهذا المتن كاشف عن أنّ المراد بهذا اللعن ليس جميع الأمّة الإسلامية، بل أولئك الذين تظاهروا على أميرالمؤمنين علي عليه السلام و قاتلوه، و ما زالوا على مخالفته و حربه حتّىٰ مضىٰ شهيداً.

١- راجع: من لايحضره الفقيه: ٢: ٣٥٤

و إخواننا أهل السنّة يعتقدون بأنّ علياًﷺ رابع الخلفاء بعد رسول اللهﷺ، و أنّ الخارج على إمام زمانه باغ، و مفرّق لكلمة هذه الأمّة و شاقّ لعصا وحدتها.

فهل لعن أمثال هؤلاء البغاة لعن للأمّة الإسلاميّة كلّها!؟

ثمَّ إنَّ ما ورد في هذا المتن من مفاهيم و عناوين ورد بصيغة عامة غير مقيّدة، لكننا نجد القفاري في حاشية كتابه يصرفها إلىٰ حيث يشتهي و يقيّدها كما يهوىٰ، حرصاً على الإستفزاز و الإثارة، فيعلّق على كلمة «ظلمك و غصبك» قائلاً: «الظلم و الغصب عندهم هو تولية أبي‌بكر و عمر و عثمان الخلافة»[١]، و ليس في النصّ ما يشير إلى هذا!

و يقول بصدد عبارة: «ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به»: «أي من رضي بخلافة أبي‌بكر، لأنّه رضي - بزعمهم - بالظلم و الغصب، فيشمل جميع أمّة محمّد ما عدا غلاة الشيعة!»[٢]، و ليس في النص ما يوحي بهذا!

و يقول بصدد «أللّهمّ العن الجوابيت و الطواغيت و الفراعنة و اللاّت و العزّىٰ و كلّ ندّ يدعىٰ من دون الله...»: «الجوابيت... إلخ: هم في اعتقادهم خلفاء المسلمين و لاسيما الخلفاء الثلاثة، و الخلفاء الأمويون، و الندّ الذي يُدعىٰ من دون الله هو الإمام الذي يبايع دون

١- راجع كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: حاشية الصفحة ٩١١

٢- نفس المصدر

أئمتّهم الإثني عشر»[١] و ليس في النص ما يشير إلى هذا!

و هو في كلّ هذه التفسيرات التي يفرضها على هذا المتن و يلصقها به إلصاقاً، يزعم أنّ هذه المعاني التي حملّها على هذا المتن مستفادة من بطون بعض كتب الشيعة![٢]

إنّ هذا التفسير القسري الذي حاول القفاري أن يفرضه على هذا النصّ ـ بعد اقتطاعه لبعض عباراته و حذفها منه ـ يأباه الجوّ الحقيقي لهذا النصّ في ضمن الجوّ الكلّي لمتن هذه الزيارة التي يرويها الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه[٣]، و إنّ من يطالع تمام متن هذه الزيارة ليكتشف بسهولة الغرض السّيئ من وراء محاولة القفاري إخراج هذا الجزء من متن الزيارة عن أصل جوّها العام طمعاً في اثارة المسلم السنّي ضد أخيه المسلم الشيعى!

و إلاّ هل يأبىٰ أهل الغيرة الدينية من إخواننا أهل السنّة أن يلعنوا قتلة أميرالمؤمنين علي عليه السلام و قتلة الحسن و الحسين و أئمّة المسلمين عليهم السلام، و قتلة الأنبياء و الأوصياء!؟[٤]

أبداً! إنّ أهل السنّة حقاً لايأبون أن يلعنوا من لعنهم الله و رسوله صلى الله عليه وآله. و ممّا يثير العجب أنّ هذا القفاري و هو يدّعي لنفسه أنّه مسلم موحّد، و يرمي المسلمين الآخرين بالشرك و يصفهم

١- نفس المصدر

٢- راجع: أصول مذهب الشيعة: ٢ / حاشية الصفحة ٩١١.

٣- راجع: كتاب من لايحضره الفقيه: ٢: ٣٥٢ ـ ٣٥٦ رقم ١٦١٣ / ٢ ـ نشر دار الأضواء ـ بيروت

٤- انظر هذه الفقرات من متن الزيارة

بالمشركين، قد اندفع هنا بلا شعور و لاتحفّظ ليدافع عن الجبت و الطاغوت و اللاّت و العزّىٰ و الفراعنة ـ و كأنّ هؤلاء عنده جزء من الأمّة الإسلامية أو كلّ الأمّة الإسلاميّة!! ـ ليتّهم الشيعة بأنّهم يكفّرون الأمّة الإسلاميّة جمعاء و في كلّ عصورها!!

٩ ـ هل كتاب «المراجعات» افتعال شيعي و مكيدة رافضية!؟

قال القفاري «ولقد أخرجت المكتبة الشيعية «المعاصرة» كتباً للدعوة للتشيّع و نشره بين أهل السنّة... و لعلّ المطلّع علىٰ هذه الكتب يُدرك أنّ واضعها أحد رجلين: إمّا زنديق ملحد هدفه إضلال عباداللّه بالكذب و الخداع!، أو رافضي جاهل استحلّ باسم التقيّة كلّ شيء!... و من أبرز الأمثلة على ذلك كتاب يُسمّىٰ «المراجعات» وضعه آيتهم العظمىٰ عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي... و لقد اهتمّ دعاة «الرفض» بهذا الكتاب، و جعلوه وسيلة من أهمّ وسائلهم التي يخدعون بهاالنّاس، أو بعبارة أدقّ يخدعون به أتباعهم و شيعتهم! لأنّ أهل السنّة و لاسيّما أهل العلم فيهم لايعلمون شيئاً عن هذا الكتاب!! و لاغيره من عشرات الكتب التي تخرجها مطابع الروافض!... أللّهم إلاّ من له عناية و اهتمام خاص بمذهب الشيعة!!... الكتاب عبارة عن مراسلات بين شيخ الأزهر سليم البشري و هو ـ بزعم الرافضي ـ يمثّل أهل السنّة و يستدلّ لمذهبها!! و بين عبدالحسين و هو يمثّل الشيعة و يستدلّ لمذهبها... و انتهت هذه المراسلات بإقرار شيخ الأزهر بصحّة مذهب الروافض و بطلان

مذهب أهل السنّة!!... و الكتاب بلا شك مكيدة رافضيّة، و مؤامرة مصنوعة لترويج مذهب الرفض».[١]

في هذا المقطع المنتقىٰ نشاهد القفاري ـ و قد فقد اتزانه و خرج عن طوره! ـ قد أساء إساءات متعدّدة و افترىٰ افتراءات أخرىٰ! لقد أساء إلى علماء أهل السنّة و وصفهم بأنّهم لايعلمون شيئاً عن هذا الكتاب و لاغيره من عشرات الكتب التي تصدرها مطابع الشيعة! وهذا ليس من شأن أهل العلم الذين هم أولىٰ الناس بالإهتمام بجميع المسلمين و بفرقهم، و بمستجدّات التيار الديني الإسلامي بشكل عام!

ثمّ أساء إلى المرحوم الشيخ الجليل و العالم النحرير مرجع أهل السنّة في زمانه سماحة شيخ الأزهر سليم البشري، فقال مستخفّاً به: «و هو ـ بزعم الرافضي ـ يمثل أهل السنّة و يستدلّ لمذهبها!!»،

و كأنّ هذا القفاري لايرىٰ الشيخ البشري أهلاً لهذا الموقع الشريف! و ما عشت أراك الدهر عجباً!

ثمّ افترىٰ على الشيخ البشري بأنّه أقرّ بصحة مذهب الشيعة و بطلان مذهب السنّة!! و إنّ من يُطالع الكتاب (المراجعات) لايجد لمدّعىٰ القفاري أيّة صحّة، بل كلّ ما انتهت إليه هذه المراجعات هو أن الشيخ البشري كتب قائلاً:

«١ـ لاتحكم محاكم العدل بضلال المعتصمين بحبل أهل البيت،

١- راجع: كتاب أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٦٣ ـ ١٣٦٤

الناسجين على منوالهم، و لاقصور في أئمّتهم عن سائر الأئمّة في شيء من موجبات الإمامة.

٢ـ و العمل بمذاهبهم يُجزي المكلّفين و يُبريء ذممهم، كالعمل بأحد المذاهب الأربعة بلاريب.

٣ـ بل قد يقال إنّ أئمّتكم الإثني عشر أولىٰ بالإتّباع من الأئمّة الأربعة و غيرهم، لأنّ الإثني عشر كلّهم على مذهب واحد، قد محّصوه و قرّروه بإجماعهم، بخلاف الأربعة فإنّ الإختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه كلّها، فلا تُحاط موارده و لاتُضبط، و من المعلوم أنّ ما يمحّصه الشخص الواحد لايكافي في الضبط ما يمحّصه إثناعشر إماماً.

هذا كلّه ممّا لم تبق فيه وقفة لمنصف، و لاوجهة لمتعسّف. نعم، قد يشاغب النواصب في إسناد مذهبكم إلى أئمة أهل‌البيت، و قد أكلّفكم ـ فيما بعد ـ بإقامة البرهان على ذلك.

٤ـ و الآن ألتمس مازعمتموه من النصّ بالخلافة على الإمام علي‌بن‌أبي‌طالب رضي اللّه عنه، فهاته صريحاً صحيحاً من طريق أهل‌السنّة، و السلام»[1]

فأين هذا ـ على صراحته! ـ من فرية القفاري بأنّ الشيخ البشري أقرّ ببطلان مذهب أهل السنّة!؟

أمّا الفرية الأخرىٰ، فقول القفاري بصدد كتاب المراجعات

---

١ ـ كتاب المراجعات: ١٠٩ / المراجعة رقم ٥ / دار المرتضىٰ.

الشريف: «والكتاب بلاشك مكيدة رافضية، و مؤامرة مصنوعة لترويج مذهب الرفض!»

و يبدو أنّ القفاري لم‌يراجع كتاب المراجعات! و لم‌يطالع سند هذا الكتاب! و لو كان قد راجع هذا الكتاب في طبعته العشرين التي صدرت عن مطبوعات النجاح بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م، مع مقدّمة الدكتور حامد حفني داود و هو من أساتذة كلّية الألسن ـ جامعة عين شمس ـ في القاهرة، و محمّد فكري عثمان أبو النصر و هو أحد علماء الأزهر، لما تجرّأ القفاري على اجتراح هذه الفرية، و لتيقّن أنّ هذا الكتاب الشريف كان حقاً مناظرة رائعة بين عالمين كبيرين من علماء دنيا الإسلام، كانت غايتها طلب الحقيقة من خلال المنطق الصحيح التام و الإستدلال القوي و الإنصاف، و لأيقن القفاري أيضاً أنّ الشيعة ـ ليسوا بحاجة إلىٰ اصطناع كتب موهومة ـ مع ما عندهم من الدلائل القوية و البراهين المحكمة و الشواهد الكثيرة من كتب أهل السنّة في المواضيع المختلفة.

* **الإستناد إلى الأحاديث الضعيفة و الشاذة عند الشيعة!!**

و من الملفت للإنتباه و المثير للتعجّب أيضاً في كتاب القفاري هو أنّ أكثر رجوعه إلى الكتب الروائية الشيعية، دون الكتب الكلاميّة الكاشفة عن أصول العقائد! كما أنّ أكثر اختياره ـ عن عمدٍ و إصرار ـ للروايات و الأحاديث التي هي في نظره مجلبة للشبهة، أو الروايات و الأحاديث الضعيفة الشاذة، فكان ينتقيها انتقاءً مدروساً مغرضاً و يعرضها كأصل من أصول مذهب الشيعة!

في حين أنّ هناك روايات و أحاديث صحيحة و كثيرة ـ يعتمدها الشيعة ـ تقع قبال تلك الروايات و الأحاديث الضعيفة أو الشاذّة كان قد أعرض عنها القفاري عامداً لأنها لاتخدم الغرض الذي من أجله ألّف كتابه المسموم هذا!

إنّ صرف وجود حديث ضعيف أو شاذّ ـ أو أكثر من حديث ـ في جامع من الجوامع الحديثية الشيعية ليس دليلاً على أنّ الشيعة تعتمده و تعمل على طبقه، لكنّ القفاري أغمض طرفه عامداً عن هذه الحقيقة، ليظهر لقرّاء كتابه ـ و جلّهم ممّن لا يعلمون عن مذهب الشيعة إلاّ ما يسمعونه من أعدائه ـ أنّ الشيعة ترتكز على مثل هذه

الروايات الضعيفة أو الشاذّة في اعتقادها و فقهها!

لقد أخذ القفاري بشكل خاص و بكثرة عن كتاب بحارالأنوار للعلاّمة الشيخ محمد باقر المجلسي، و المجلسي نفسه يعترف في كتابه هذا أنه حاوٍ على روايات قد تكون صحيحة أو غير صحيحة، و لاشك أنّ إحدىٰ غايات المجلسي من وراء كتابه هذا هو حفظ الروايات و الأحاديث عن الفقدان و الضياع، و هذه الغاية بذاتها غاية مشكورة مأجورة إن شاءالله تعالى، و أكثر علماء الشيعة الإمامية يقولون: إنه لايمكن العمل بروايات كتاب البحار أو أي كتاب حديثي آخر بلا تحقيق و تمحيص، فإنّ البحر يحتوي على الدرّ و الصدف.(١)

و هذا المعنى ينطبق أيضاً على الجوامع الحديثية السنيّة، ففيها روايات و أحاديث كثيرة ضعيفة و شاذة، و لايمكن القول أنّ مؤلّف الجامع الروائي الكذائي مثلاً يعتقد بكلّ ما فيه! بل له فضل الجمع و الحفظ، أمّا إعتقاداته و فقهه فيؤخذ و يُعرف من الكتب الإعتقادية

١- العجيب أنّ القفاري يعترف بأنّ نظر أكثر الشيعة بصدد الكتب الأربعة المعتبرة عندهم هو أنهم لايذهبون إلىٰ القول بصحة جميع مافيها، حيث يقول: «فالأخباريون يمنعون الإجتهاد و يعملون بأخبارهم، و يرون أنّ ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة كلّها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، و يقتصرون على الكتاب (أي القرآن) و الخبر، و لذلك عرفوا بالأخباريّة نسبة إلىٰ الأخبار، و ينكرون الإجماع (و دليل العقل)، و لايرون حاجة إلى تعلّم أصول الفقه، و لايرون صحته. و يقابلهم الأصوليون أو المجتهدون، و هم القائلون بالإجتهاد و بأنّ أدلّة الأحكام: الكتاب و السنّة و الإجماع و دليل العقل، و لايحكمون بصحّة كلّ ما في الكتب الأربعة... و يمثلون الأكثرية» (راجع: أصول مذهب الشيعة: ١: ١٤٢: ١٤٣).

(الكلاميّة) و الكتب الفقهيّة التّي آلّفها أو يتبنّاها.

و الفقيه (المجتهد) حينما يمارس عملية الإستنباط لابدّ له من مراجعة الكتب الرجالية المتكفّلة بتوثيق رواة الأحاديث أو تضعيفهم حتى يميز بين الصحيح و السقيم، ثمّ يستند إلىٰ ما تمّت لديه الحجّة بينه و بين الله فيبدي رأيه الفقهي و يفتي بذلك، معرضاً عن الحديث الضعيف أو الشاذ الفاقد للإعتبار حسب ما تبنّاه في مبحث حجيّة خبر الواحد في علم الأصول.

و لم يُعرف أو يُسمع في تاريخ الفقهاء و الفقاهة أنّ فقيهاً ـ حينما صحّت عنده رواية في مبحث فقهي، و رأىٰ ضعف غيرها في نفس المبحث ـ هجم على مؤلّف الجامع الروائي و رماه بالشرك أو الكفر إذا كان مدلول الرواية الضعيفة مخالفاً لمذهب الفقيه و رأيه! أو اتهمه بالخروج عن الدين لمجرد نقل الرواية الضعيفة في جامعه!

إنّ المفروض في التعاطي العلمي أن يُعرض هذا الفقيه عن الحديث الضعيف و يتركه مع كامل التقدير و الإحترام و الإمتنان لذلك المحدّث صاحب الجامع الروائي، لما بذله من جهود مضنية وما لاقاه من صعوبات و مشاق في سبيل جمع الأحاديث والروايات، ثم تدوين الكتاب الجامع حفظاً لها من فقدان و الضياع.

و الإنصاف و الموضوعيّة يوجبان أن لايُسند مدلول الحديث الضعيف أو الشاذّ إلىٰ مذهب المحدّث صاحب الجامع الروائي، ولايُتّخذ مستمسكاً عليه، و لايُشنّع عليه بالشرك أوالكفر لمجرّد نقله لهذا الحديث الضعيف أو الشاذّ في كتابه.

و متىٰ كان مجردّ نقل الحديث دليلاً تاماً على كشف رأي ناقله، أو طريقاً لمعرفة عقيدته و مذهبه!؟

إنّ من يقرأ كتاب ناصر القفاري يتّضح له بجلاء تام أنّ هذا القفاري قد تنكّر لهذه الحقائق المتسالم عليها عند أهل العلم، و كأنّه لا يعرف شيئاً عن علم الحديث، و طريقة المحدّثين، و أسلوبهم في تدوين الكتب الحديثية، و كيفية جمع الأحاديث و الروايات!

فعمد مصرّاً على إلصاق تهمة الشرك و الكفر و الإلحاد بُجلّ مؤلفي الشيعة و محدّثيهم، و بأسلوب خرج به هذا القفاري عن أدنىٰ لوازم الحفاظ الأدبى و الأخلاقي!

تُرىٰ هل يمكن لهذا القفاري أن يُنكر أو أن يتستّر على العدد الكثير جدّاً من الروايات و الأحاديث الموجودة في الجوامع الحديثية السنيّة و الدّالة على وقوع التحريف في القرآن، و الروايات الدالة على التجسيم، و الروايات التي تتضمّن الإهانة للأنبياء عليهم السلام و لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله!؟

فإذا أخذنا بقياسه الخاطي المتعمّد ـ و العياذبالله ـ لوجب أن نقول كما يقول هو بأنّ أصحاب (مؤلفي) تلك الجوامع يعتقدون بمثل هذه الروايات!

و إذا كان الأمر كذلك ـ و ليس كذلك! ـ فلن ينجو إذن أحدٌ من محدّثي المسلمين سنّة و شيعة من تهمة الشرك و الكفر، ذلك لأنّ جميع المصادر الحديثية لاتخلو من مجموعة من الروايات الضعيفة أو الشاذّة المسبّبة للأخذوالردّ، و الرفض و القبول، و الإعتراض

والموافقة! و معنىٰ هذا أنّ السيّاف ناصر القفاري ـ بأمر من يأتـمر بأمره! ـ سيقطع أعناق جميع محدّثي الإسلام سنّة و شـيعة بـعد أن يصدر عليهم الحكم بجريمة الشرك و الكفر و الالحاد!!

إنّ من يتبع هذه الطريقة المتحجّرة و هذا المنهج الأرعن الفـاقد لأصول الخلق و الأدب: إمّا ساذج جـاهل، غـير عـارف بـحقائق التعاطي العلمي و بأساليب الكلام و الحجج، و لامتأدب بآداب أهل العلم و المعرفة، أو حاقد عنود متعصّب قد بـاع آخـرته بـالأرذل الأدنىٰ من حطام الدنيا الفانية طمعاً فيما قد يسخو ـ أو لا يسخو ـ به السلاطين علىٰ مثله! أعاذنا الله و جميع المؤمنين من هذه العاقبة.

*** الخلط بين مذهب الشيعة الإمامية (مذهب اهل‌البيت عليهم السلام) و مذاهب اخرىٰ**

المفروض أنّ الموضوع الأساس لهذا الكتاب هو عرض و نقد مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية الذين يعتقدون بإمامة و خلافة الأئمة الإثني‌عشر من أهل‌البيت عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه و آله، و هم علىٰ الترتيب: الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ثمّ أخوه الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ! ابنه عليّ بن‌الحسين زين‌العابدين عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام محمدالباقر عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام جعفرالصادق عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام موسىٰ‌الكاظم عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام عليّ الرضا، ثمّ ابنه الإمام محمدالجواد عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام عليّ الهادي عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام الحسن‌العسكري عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام محمّدبن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام، الذي هو حيٌّ غائب عن الأنظار إلىٰ أن يأذن الله له في ظهوره، فهو الإمام القائم بالأمر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

و المفروض أنّ مهمة عرض و نقد مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية التي يضطلع بها كتاب ناصرالقفاري قائمة على أساس دراسة و ثائقيّة و علمية معمّقة لاتخلط بين المذهب الذي هو أصل موضوع

الكتاب و بين المذاهب الأخرى التي نسبتها إلى هذاالمذهب كنسبتها إلى مذاهب أهل السنّة الأربعة الأخرىٰ، في الاشتراك ببعض العقائد و المباحث الكلامية و الفروع الفقهية، و في اختلافها في كثير أو قليل من ذلك.

غير أنّ القارئ الخبير لايحتاج إلى تدقيق طويل ليكتشف أنّ كتاب ناصر القفاري قد خلط بين مذهب الشيعة الاماميّة الإثني عشرية و بين مشرب أولئك الذين يقولون بألوهيّة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مع أنّ الشيعة الإمامية الإثني عشرية، تبعاً للإمام عليّ عليه السلام خاصة و لأئمتهم الباقين عليهم السلام عامّة بُرآء ممّن يقول بألوهية عليّ عليه السلام أو ألوهيّة أيّ إمام آخر من البشر، و قد أمر الإمام عليّ عليه السلام في زمنه باستتابة من قال بألوهيته أو بإحراق من لم يتب بالنار.[1]

كما خلط ناصر القفاريّ أيضاً بين مذهب الإماميّة الإثني عشرية و بين مذهب الزيدية القائلين بإمامة كلّ من قام بالسيف و لو لم يكن منصوباً من قبل الله تعالى! دون من لم يقم بالسيف و إن كان إماماً منصوباً من قبل الله تعالى! و كم هو الفرق كبير و أساسي بين هؤلاء و بين الشيعة الإمامية الإثني عشرية الذين يؤمنون بأدلّتهم القاطعة أنّ أئمّتهم منصوبون من قبل الله تبارك و تعالى، و أن قيام بعضهم أو عدم قيام بعض آخر منهم إنّما هو تنفيذ لأمر الله تعالى و امتثال

١- و الشيعة الامامية تقول بكفرهم. راجع جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، الشيخ محمد حسن النجفي ج ٢ / ٤٥٩ مؤسسة المرتضى العالمية، لبنان.

لمشيئته.

و خلط ناصر القفاري أيضاً بين الشيعة الإماميّة و بين الإسماعيلية الذين يعتقدون بستّة فقط من أئمة أهل‌البيت عليهم السلام، ذلك لأنهم يرون أنّ إسماعيل بن الامام جعفرالصادق عليه السلام هو الإمام بعد أبيه، و قد رفعه الله إليه! فهم لايعتقدون بإمامة الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام و الأئمّة من بعده عليهم السلام، مع أنّ الشيعة الإماميّة الإثني عشرية يعتقدون بأنّ من أنكر واحداً من أئمّة أهل‌البيت عليهم السلام فقد أنكرهم جميعاً!

*** التعليل السّيء لنظرات الشيعة الموافقة لنظرات اهل السنّة!!**

من الملفت للإنتباه و التعجّب أنّ القفاري يعمد إلى ما يقرّره علماء الشيعة في متون كتبهم على أساس الإجتهاد الصحيح[1] من نظر فقهي أو اعتقادي موافق و منسجم مع نظر أهل السنّة، فيصرّ على تعليله تعليلاً سيئاً مغرضاً قائماً على سوء الظنّ و خبث السريرة و الطويّة!

فترىٰ القفاري ـ فضلاً عن تكبيره و تضخيمه لنقاط الإختلاف و النزاع من أجل الإيقاع بالشيعة و تنفير السنّة منهم ـ يلجأ عامداً

١- إنّ من يطالع مصادر الشيعة و متونهم الإعتقادية و الفقهية بتأمّل و دقّة و انفتاح ـ بلا رفض مسبّق و استخفاف ـ تتجلّى له هذه الحقيقة بوضوح تام و هي: أنّ علماء و مفكّري الشيعة لايظهرون حكماً أو اعتقاداً و لايتبنّونهما إلاّ على أساس دليل محكم و مستند قويّ، و لايقيمون مبانيهم الإعتقادية و الفقهية إلا علىٰ اساس الإجتهاد الذي يستمّد أصوله و مقوّماته من القرآن الحكيم و السنّة الشريفة.

إلى تفسير و تعليل نقاط الإتفاق و الإلتقاء تفسيراً سيئاً و تعليلاً مغرضاً، متّهماً الشيعة بأنّ هذا التوافق منهم مع أهل السنّة ليس أمراً على الحقيقة! بل هو إمّا عن محمل التقية منهم! أو عن حيلة و نفاق حسب تعبيره!

ليصل آخر المطاف إلى هذه النتيجة التي يجتهد في فرضها فرضاً علىٰ المسلم السنّي و يحمّله إياها بالإكراه و بلاأساس، فيقول: «إنّ من كان أذانه غير أذاننا، و صلاته غير صلاتنا، و طلاقه غير طلاقنا، و عتقه غير عتقنا، و حجّته غير حجّتنا، و فقهاؤه غير فقهائنا، و إمامه غير إمامنا، و قراءته غير قراءتنا، و حلاله غير حلالنا، و حرامه غير حرامنا، فلا نحن منه و لاهو منّا.»(١)

و ترىٰ القفاري بعد أن يذكر أسماء علماء الشيعة الكبار القائلين بعدم وقوع التحريف في القرآن، يكتب قائلاً: «إنّ القول الحق هو تقيّة من الشيعة»(٢).

من هنا تراه لايألو جهداً في إلصاق تهمة «القول بتحريف القرآن» بالشيعة.(٣)

و تراه في موقع آخر بعد أن ينقل نظر المرحوم السيد عبدالحسين شرف‌الدين أعلاالله مقامه بصدد عدم تكفير الصحابة، يعمد إلى حمل هذا النظر على التقية و يعلّله بها فيقول: «كما أنّ

١ـ أصول مذهب الشيعه، ٣: ١٢٤٥.
٢- راجع: نفس المصدر: ج ١ / ٢٨٨.
٣- راجع: نفس المصدر: ٣: ١٢٠٣ ـ ١٢١١.

الإثني عشرية لمهارتها في التقيّة، قد خفي أمرها حتىٰ نجد في شرح صحيح مسلم القول بأنّ الإماميّة لاتكفّر الصحابة و إنّما ترىٰ أنّهم أخطأوا في تقديم أبي بكر.»(١)

و تراه أحياناً يصرُّ في تفسيره لأقوال بعض علماء الشيعة على أنّ المقصود ليس الظاهر من المتن، بل أمر آخر! هو ما تشتهيه أهواء و مخيلة القفاري!

فهو ـ على سبيل المثال ـ ينقل فقرة من كتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ﷺ هي: «توجد نصوص كثيرة تصف كلّ نظام غير إسلامي بأنّه شرك، و الحاكم و السلطة فيه طاغوت، و نحن مسؤولون عن إزالة آثار الشرك من كلّ مجتمعنا المسلم و نبعدها تماماً عن حياتنا...»(٢)

فيقول القفاري معلّقاً على هذا النصّ: «فأنت ترىٰ أنّ مفهوم الشرك عنده هو أن يتولّىٰ على بلاد المسلمين أحد من أهل السنّة، فحاكمها حينئذٍ مشرك، و أهلها مشركون، فدين هؤلاء «الولاية» لاالتوحيد، و لذلك فإنّ الشرك قد ضرب بجرانه في أقطارهم!»(٣)

هكذا يحرّف القفاري الكلم عن مواضعه! و يفسر المتون تفسيراً قسرياً بعيداً عن محتواها! و إلاّ هل يشكّ قاريٌ عربيّ منصف بأنّ المقصود من كلام الإمام الخميني ﷺ هو النظام اللا إسلامي الذي

١ـ نفس المصدر ١٣/١.
٢- راجع: الحكومة الإسلامية: ٣٣ ـ ٣٤
٣- أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٨٤.

لايحكم بالشريعة الإسلاميّة! و أنّ الطاغوت هو الحاكم بغير الإسلام سواء أكان غير مسلمٍ او مسلماً سنياً أم شيعيّاً بلافرق!

*** التنكّب عن الطريق الصحيح لدراسة المذاهب!**

إنّ دراسة أيّ مذهب دراسة صحيحة تامّة تفرض علىٰ الدارس أن يتعرّف علىٰ أصول و أُسُس هذا المذهب التي يبتني و يقوم عليها، معرفة صحيحة تامّة، من خلال مراجعة مصادر هـذا المـذهب فـي الإعتقادوالفقه و الحديث و الأصـول، و مـعرفة آراء عـلماء هـذا المذهب الذين تسالم أتباع هذا المذهب علىٰ علميتهم و تـفضيلهم و صلاحيتهم لتمثيل هذا المذهب، و معرفة مـا اتـفق عـليه هـؤلاء الأعلام من علماء المـذهب، و مـعرفة المشـهور فـيما بـينهم فـي مالم‌يتّفق عليه جميعهم، و معرفة طرقهم التي يعتمدونها في الأخذ عن مصادرهم الحديثيةو العمل بما فيها، و ركائزهم أو مبانيهم في التمييز بين الروايات من صحيحة و معتبرة و ضعيفة و شاذّة.

و لايحقّ لمن لم‌يلمّ بهذه المعرفة الضرورية أن يدّعي أنّه أهـلٌ بالفعل لعرض و نقد هـذا المـذهب أو ذاك، فـإذا ادّعـىٰ ذلك فـهو متجرّيء متجاوز لحدّه! كاشف عن جـهله، و لاشكّ أنّ الشـرائـط اللازمة لهذا التأهلّ ليست بخافية علىٰ ناصر القفاري و لاعلى قسم العقيدة و المذاهب و المعاصرة في جامعة «محمدبن سعود»، و إذ قد

تصدّىٰ القفاري لمثل هذه المهمّة العلميّة قبل استكمال شرائطها و مقدّماتها ـ عن علم و عمد ـ إذن فهو قد تنكّب عن الطريق الصحيح لدراسة أيّ مذهب عن عمد و قصد!

تُرىٰ ماذا يصنع ناصر القفاري هذا ـ صاحب شهادة الدكتوراه من درجة الشرف الأولىٰ ـ إزاء رواية أو روايات ربّما كانت معتبرة أو صحيحة، منقولة في الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة الإماميّة الإثني عشرية، إلاّ أنّ جُلّ علمائهم لايتمسكون بها![1] لسبب من الأسباب التي لم يُحط علماً بها هذا القفاريّ، أو لمبنىً من مبانيهم التي لم يتأهّل لاستيعابه هذا القفاريّ؟!

ماذا يصنع هذا القفاريّ صاحب الدكتوراه إزاء مسألة قد يدّعي بعض العلماء الإجماع عليها، في وقت يدّعي بعض آخر منهم الإجماع على ضدّها، و كلّ من هؤلاء في موقفه من هذه المسألة على ضوء مبناه الأصولي، الذي يجهله هذا القفاريّ تمام الجهل!

أفيقفُ القفاريّ علىٰ أحد هذين الإجماعين دون الآخر، فيأخذه و ينسبه إلىٰ المذهب متوهماً أنّ هذا هو المجمع عليه بلاخلاف عند علماء المذهب!؟

١- كمثل الروايات ا لواردة في طهارة الخمر، و هي روايات عديدة، الصحيحة منها على الأقل خمس روايات (أنظر: وسائل الشيعة: ٢: ١٠٥٧ باب ٣٨ الأحاديث: ١٠و١٢و١٣و١٤ / و باب ٣٩حديث ٢) قال الفقيه و المرجع الكبير السيدمحسن الحكيمﷺ: «نعم، يدلّ علىٰ الطهارة جملة أخرىٰ قيل تزيد علىٰ عشرين حديثاً...» و ذكر أنّ هناك خمسة منها صحيحة السند (راجع: مستمسك العروة الوثقى: ١: ١: ٤٠)

و ماذا يصنع هذا القفاري إزاء رواية من الروايات التي ظاهرها القول بالتجسيم علىٰ‌الله سبحانه، أو رواية ظاهرها إمكان رؤية الله سبحانه، و قد نقلها أصحاب الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة أو بعضهم؟ هل يأخذها على ظاهرها ـ كما هو شأن الحنابلة[1] ـ مستأنساً بهذا الظاهر، ثمّ يزعم بأنّ مايطفح به ظاهر تلك الرواية هو الرأي المشهور عند الشيعة، أو الرأي المجمع عليه عندهم، بدون الرجوع الىٰ عقائد الشيعة و منابعهم المعتمدة في الإعتقادات، أو مناقشة علمائهم في مثل هذه الروايات المتشابهة حتّىٰ يطّلع على ما يقوله العلماء في مثل هذه الروايات!؟

١ـ «غير خفيّ علىٰ أولي الألباب: أنّ أحمدبن حنبل، إمام الحنابلة، كان معتقداً بأنّ الله جسم! و له أعضاء: كاليد، و الوجه، و العين، و يتمسّك لذلك بظواهر الآيات المتشابهة، و هكذا قال مالك بن أنس إمام المالكيّة. (راجع: الملل و النحل ج ١ ص ٩٣ و ١٠٤)، و قال الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٣٠١:

فانْ حنبلياً قلتُ قالوا بأنني ثقيل حلوليّ بغيض مجسّمٌ

... هذا... و كتب الحنابلة مشحونة بهذه الخرافات في الأمور الإعتقادية، حتّىٰ أنّ أباالحسن الأشعري رئيس الأشاعرة تبعاً لقدوته أحمدبن حنبل قد عقد أبواباً لهذه المطالب في كتابه «الابانة في أصول الديانة: ص ٣٦ إلىٰ ٥٥»، و ذهب إلىٰ هذا المذهب الوهابيّون، و قدوتهم ابن تيميّة (راجع: العقيدة الحموية، في ضمن مجموعة الرسائل، ج ١ ص ٤٢٩، و منهاج السنّة ج ٢ ص ٢٤٠ إلىٰ ٢٧٨، و الرسائل الخمس المسمّىٰ بالهديّة السنية ص ٩٧ ـ ٩٩و فيالرسالة الخامسة ص ١٠٥ »، (نهج‌الحق و كشف الصدق: ٥٥ / الحاشية رقم٢)

*** الإغماض عن ملاحظة جميع التفريعات المهمّة في المباحث!**

من مميزات المحقّق المتتبّع المدقّق في دراسة مذهب من المذاهب، أو عَلَمٍ بارز من أعلام العلماء، أو شخصية تاريخية مرموقة، أن تكون دراسته عميقة شاملة محيطة بكل جوانب و تفريعات موضوع الدراسة و تشعبات أبعادها.

غير أنّ من يقرأ كتاب «أصول مذهب الشيعة» لمؤلّفه ناصر القفاري هذا يلاحظ ـ خصوصاً بعد مراجعة مصادر كلّ موضوع ـ أنّ هذا الكتاب خال من كلّ لوازم و مقوّمات الدراسة العميقة الشاملة المحيطة، لأنه يجد أنّ مؤلّف هذاالكتاب مثلاً يأخذ صدر الكلام من دون ملاحظة ذيله، و بلاتأمّل كاف في صدره! فينسب إلىٰ صاحب هذا الكلام من القول المتعسف مالايرضاه صاحب الكلام، و ما لا يدلّ عليه الكلام بمجموعه من صدر و ذيل، أو تكون لمسألة ما عدّة فروع، بعضها قطعيٌّ قد اتفق عليه أهل العلم أجمعون، و بعضها مختلفٌ فيه، فيأخذ القفاري بالمختلف فيه و ينسبه إلى القائل اعتسافاً بلارويّة و لاتأمّل و تدبر! بل زوراً و افتراءً عليه!

فمثلاً من المسائل التي ركّز عليها هذا القفاري، و توسّع في

البحث عنها ـ كما يتخيل طبعاً ـ و تتبع فيها أقوال علماء الشيعة و رواياتهم! مسألة تحريف القرآن، التي لم ينصف القفاريُّ الشيعة في البحث عنها ـ كما سنبّينه بتوسّع في النقد التفصيلي لمباحث كتابه ـ و لكن متىٰ أنصف هذا الرجل الشيعة حتّىٰ نعتب عليه!؟

إنّ من يهدف إلى نقد أصل من أصول مذهب ما ـ بل في كلّ قضيّة أو مسألة ـ يجب عليه أن يحدّد أوّلاً محل النزاع، ثم يفحص رأي القائل الذي يريد نقد رأيه و يثبت بطلانه، أو يكشف عن نقائصه، بدقّة و تدبّر.

و التحريف عنوان عام ينطوي على معانٍ متعدّدة مختلفة، فلا يصحّ إسناده إلى مذهب أو نفيه عنه قبل تحديد المعنىٰ المقصود من التحريف.

فمن معاني التحريف: «نقل الشيء عن موضعه و تحويله إلىٰ غيره» و منه قوله تعالى: «من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه»[1] و لاخلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله، فإن كلّ من فسّر القرآن بغير حقيقته، و حمله على غير معناه فقد حرّفه، و نرىٰ كثيراً من أهل البدع و المذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم و أهوائهم! و قد ورد المنع الشديد عن هذا التحريف، و ذُمَّ فاعله في الكتاب! و على لسان رسول الله ﷺ و لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام.[2]

١- سورة النساء: الآية ٤٤.

٢- في الكافي، بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلىٰ سعد الخير:

و من التحريف القول بالزيادة! أي أنّ بعض ما في المصحف الشريف الذي بأيدينا ليس من كلام الله المنزل!

و هذا النوع من التحريف باطلٌ بإجماع المسلمين فلايقول بوقوعه أحدٌ منهم. و من التحريف أيضاً القول بالنقيصة! أي أنّ المصحف الذي بين أيدينا لايشتمل على جميع القرآن، الذى نزل من السّماء، و انّه قد ضاع بعضهم على النّاس! و المشهور المتسالم عليه بين علماء الشيعة و محققيهم بالدليل و البرهان هو عدم وقوع مثل هذا التحريف فى القرآن، نعم شذ بعضهم و هم نزر قليل.

أمّا علماء أهل السنّة فقد ذهب جمع منهم إلى القول بوقوع مثل هذا التحريف في القرآن،[١] قال الرافعي: «فذهبت جماعة من أهل

«... و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، و حرّفوا حدوده، فهم يروونه و لايرعونه! و الجهّال يُعجبهم حفظهم للرواية، و العلماء يحزنهم تركهم للرعاية...» (راجع: الوافي: ٥: ٢٧٤).

١- من روايات أهل السنّة التي تقول بتحريف النقيصة مايلي، على سبيل المثال لاالحصر:

*: فيالبخاري: ٣: ١٧٢ و مسلم: ١: ٥٤٣ رقم ٢٤٤ «أنّالنبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد، فقال الرسول: رحمهالله أذكرني كذا و كذا آيةأسقطتهن من سورة كذا و كذا».

*: و في الاتقان: ٢: ٤٠و٤١ أنّ نافعاً روىٰ عن ابن عمر قال: «ليقولّن أحدكم قد أخذت القرآن كلّه! و ما يدريه ماكُلّه؟ قد ذهب منه قرآن كثيرا و لكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر!»

*: و فيه أيضاً: و روىٰ عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: «كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبي - ص - مأتي آية! فلمّا كتب عثمان المصاحف لمنقدر منها إلاّ ما هو الآن!»، و راجع ما رواه زرّبن حبيش عن أبي بن كعب في ما يرتبط بدعوىٰ نقص سورةالأحزاب أيضاً (منتخب كنزالعمال بهامش مسند أحمد: ٢:٤٣)

*: و ذكر السيوطي فيالإتقان: ١: ١٠١ قائلاً «أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث

الكلام ممّن لاصناعة لهم إلاّ الظنّ و التأويل و استخراج الأساليب الجدلية من كلّ حكم و كلّ قول إلىٰ جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شيء، حملاً ما وصفوا من كيفية جمعه».(١)

و قال الفقيه المحقّق و المرجع الكبير السيد الخوئي‌﵀: «المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، و أنّ الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبيّ الأعظم‌ﷺ،

← بن سعد قال: أوّل من جمع القرآن أبوبكر، وكتبه زيد... و إنّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها، لأنّه كان وحده»، و راجع نصّ ادّعاء عمر في رجم الشيخ و الشيخة في الإتقان أيضاً: ١: ١٢١ وكذلك في البخاري٨: ٢٦ و مسلم: ٥: ١١٦.

*: و روىٰ ابن أبي داود و ابن الأنباري، عن ابن شهاب قال: «بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا وعوه، و لم يُعلم بعدهم و يُكتب...»(منتخب كنزالعمّال بهامش مسند احمدبن حنبل: ٢: ٥٠).

*: و روىٰ المسور بن مخرمة قال: «قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أُنزل علينا: أنْ جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة. فإنّا لانجدها!؟ قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن!»(الإتقان: ٢: ٤٢).

*: و قد نقل بطرق عديدة عن ثبوت سورتي الخلع! و الحفد! في مصحف ابن‌عبّاس و أبي بن كعب: «أللّهمّ إنّا نستعينك و نستغفرك و نثني عليك و لانكفرك و نخلع و نترك من يفجرك أللّهمّ اياك نعبد و لك نصلّي و نسجد و اليك نسعىٰ و نحفد نرجو رحمتك و نخشىٰ عذابك إنّ عذابك بالكافرين ملحق»(راجع: الإتقان: ١: ١١٢و١١٣).

*: وروىٰ أبو حرب ابن أبي الأسود، عن أبيه قال: «بعث أبوموسى الأشعري إلىٰ قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة و قرّاؤهم، فاتلوه، و لايطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، و إنا كنا نقرأسورة كنّا نشبهها في الطول و الشدّة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها: لوكان لابن آدم و اديان من مال لابتغىٰ و ادياً ثالثاً و لايملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب. وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبهها بإحدىٰ المسبحات فأنسيتها، غير أني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتُكتب شهادةً في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.»(صحيح مسلم: ٣: ١٠٠)

١- إعجاز القرآن، ٤١.

و قد صرّح بذلك كثير من الأعلام، منهم رئيس المحدّثين الصدوق محمدبن بابويه، و قد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية، و منهم شيخ الطائفة أبوجعفر محمدبن الحسن الطوسي، و صرّح بذلك في أوّل تفسيره «التبيان»، و نقل القول بذلك أيضاً عن شيخه علم الهدىٰ السيّد المرتضىٰ، و استدلاله على ذلك بأتمّ دليل، و منهم المفسّر الشهير الطبرسي في مقدّمة تفسيره «مجمع البيان»، و منهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه «كشف الغطاء» و ادّعىٰ الإجماع على ذلك، و منهم العلاّمة الجليل الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه «العروة الوثقىٰ» و نسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين و منهم المحدّث الشهير المولىٰ محسن القاساني في كتابيه[1] و منهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمدالجواد البلاغي في مقدّمة تفسيره «آلاء الرحمن»، و قد نسب جماعة القول بعدم التحريف إلى كثير من الأعاظم: منهم شيخ المشايخ المفيد، والمتبحر الجامع الشيخ البهائي، و المحقق القاضي نورالله، و أضرابهم، و ممّن يظهر منه القول بعدم التحريف: كل من كتب في الإمامة من علماء الشيعة و ذكر فيه المثالب و لم يتعرض للتحريف، فلوكان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك أولىٰ بالذكر من إحراق المصحف و غيره!»[2]

و هناك الكثير من علماء الشيعة القائلين بعدم التحريف ممّن

١- أي: الوافي: ٥: ٢٧٤ و علم اليقين: ١٣٠.
٢- البيان في تفسير القرآن: ٢١٨ - ٢١٩.

لم يذكر هم السيّد الخوئي ﵀، مع كلّ هذا نلاحظ أنّ ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» بعد نقله لكلا القولين يـزعم أنّ رأي الشيعة في قضيّة وقوع التحريف أو عدم وقوعه هو رأي ذلك النزر القليل من علمائهم القائلين بإمكان وقوع التحريف بالنقيصة! متعمّداً ترك الرأي المشهور المتسالم عليه عند جلّ علماء الشيعة و هو القول بعدم وقوع التحريف، زاعماً أنّ هذا الرأي المشهور عند جلّ علماء الشيعة محمول على التقيّة! فقال إنّ القول بعدم التحريف لعلّه تقيّة!

إنّ القفاري هذا لم يكشف عن جـهله فـقط فـي هـذا الإدّعـاء المضحك المبكي! بل كشف عن قلّة عقله أيضاً! ذلك لأنه تصوّر أنّ التقيّة داخلة حتّى في المباحثات العـلميّة الصـرفة فـي الحـوزات العلمية الشيعيّة و في دروس بحوثها العليا!

و لو كان الأمر كذلك لأصبح مـن المسـتحيل عـلى المـتتبع أن يتعرّف علىٰ رأي الشيعة المتبنّىٰ حـقيقة فـي قـضيّة مـن القـضايا! و لا يقول بهذا الاّ مستخفّ بعقله قبل عقول الآخرين!

هذا بيان ما في «البيان»، فمن هو الخبيث يا قفاري؟!

قال القفاري في هجومه الظالم على علماء الشيعة المـعاصرين: «درج بعض شيوخهم المعاصرين على التظاهر بإنكار هذه الفـرية و الدفاع عن كتاب الله سبحانه... لكنّك تلاحظ المنكر في فـلتات لسانه، و ترىٰ الباطل يحاول دسّه في الخفاء هنا و هـناك... و مـن أخبث من سلك هذا الطريق شيخهم الخوئي في تفسيره «البـيان»،

فهو يقرّر: «أنّ المشهور بين علماء الشيعة و محققّيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف» و لكنّه يقطع بصحّة جملة من روايات التحريف فيقول: «إنّ كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، و لاأقلّ من الإطمئنان بذلك، و فيها ما روي بطريق معتبر.».[1]

و بعد مراجعتنا لكتاب «البيان» علمنا أنّ القفاري قد حرّف كلام السيّد الخوئي‌رحمه‌الله عن موضعه باقتطاع هذا القسم من كلامه و تركه لبقية كلام السيّدرحمه‌الله عمداً حتىٰ يتحقّق له إظهار ما يهوىٰ من دون الحقّ، في حين أنّ السيّد الخوئي‌رحمه‌الله كان في معرض الردّ علىٰ القول بالتحريف، و في الإجابة عن هذه الشبهة خاصة، و هي: «أنّ الروايات المتواترة عن أهل‌البيت‌عليهم‌السلام قد دلّت على تحريف القرآن فلابدّ من القول به».

و كان ردّ السيّد الخوئي‌رحمه‌الله: «و الجواب: أنّ هذه الروايات لادلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنىٰ المتنازع فيه، و توضيح ذلك: أنّ كثيراً من الروايات، و إن كانت ضعيفة السند، فإنّ جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمّد السيّاري الذي اتفّق علماء الرجال على فساد مذهبه، و أنّه يقول بالتناسخ، و من علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنّه كذّاب، و أنّه فاسد المذهب، إلاّ أنّ كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين‌عليهم‌السلام، و لاأقلّ

١- أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٢٦٩.

من الإطمئنان بذلك، و فيها ما روي بطريق معتبر، فلاحاجة بنا إلىٰ التكلّم في سند كلّ رواية بخصوصها».(١)

ثمّ يعرض السيّد الخوئي طوائف أربع من الروايات التي يتبادر للذهن من ظاهرها وقوع التحريف في القرآن، و يجيب بصدد كلّ طائفة منها.

و من جوابه بصدد الطائفة الأولى أنّ هذه الطائفة ناظرة إلى حمل الآيات المذكورة فيها على غير معانيها، و ليس إلى التحريف بمعنىٰ الزيادة أو النقص في القرآن، و أمّا الرواية الأخيرة منها و هي: «قال أبو عبدالله: أصحاب العربيّة يحرّفون كلام الله عزّوجلّ عن مواضعه» فأجاب بصددها: «أنّ الظاهر من الرواية الأخيرة تفسير التحريف باختلاف القرّاء و إعمال اجتهاداتهم في القراءات، و مرجع ذلك إلى الإختلاف في كيفية القراءة مع التحفّظ على جوهر القرآن و أصله...»(٢)

أمّا الطائفة الثانية: و هي الروايات التي دلّت على أنّ بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الائمّة و هي كثيرة، فقد قال السيّد الخوئي بصددها: «و الجواب عن الإستدلال بهذه الطائفة: أنّا قد أوضحنا فيما تقدّم أنّ بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن و ليس من القرآن نفسه، فلابدّ من حمل هذه

١- البيان: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

٢- راجع: البيان، ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

الروايات على أنّ ذكر أسماء الأئمّة عليهم السلام في التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتمّ هذا الحمل فلابدّ من طرح هذه الروايات لمخالفتها الكتاب، والسنّة، و الأدلّة المتقدّمة على نفي التحريف، وقد دلّت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنّة، و أنّ ما خالف الكتاب منها يجب طرحه و ضربه عرض الجدار.»(١)

أمّا الطائفة الثالثة: و هي الروايات التي دلّت على وقوع التحريف في القرآن بالزيادة و النقصان، و أنّ الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله غيّرت بعض

١- راجع: البيان: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ / و قال السيّد الخوئي رحمه الله: «و ممّا يدلّ علىٰ أنّ إسم أمير المؤمنين عليه السلام لم يُذكر صريحاً في القرآن: حديث الغدير، فإنّه صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله انّما نصب علياً بأمرالله، و بعد أن ورد عليه التأكيد في ذلك، و بعد أن وعده الله بالعصمة من الناس، و لو كان إسم «عليّ» مذكوراً في القرآن لم يحتج إلىٰ ذلك النصب، و لاإلىٰ تهيئة ذلك الإجتماع الحافل بالمسلمين، و لما خشي رسول الله صلى الله عليه وآله من إظهار ذلك، ليحتاج إلىٰ التأكيد في أمر التبليغ. وعلى الجملة: فصحة حديث الغدير توجب الحكم بكذب هذه الروايات التي تقول: إنّ أسماء الأئمّة مذكورة في القرآن، و لاسيّما أنّ حديث الغدير كان في حجّة الوداع التي وقعت في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله و نزول عامّة القرآن و شيوعه بين المسلمين... و يعارض جميع هذه الروايات صحيحة أبي بصير المروية في الكافي: قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم / النساء: ٥٩»

«قال: فقال: نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام. فقلت له: إنّ النّاس يقولون: فماله لم يسمّ علياً و أهل بيته في كتاب الله عزّوجلّ؟ قال عليه السلام: فقولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة و لم يُسَمّ الله لهم ثلاثاً و لاأربعاً؛ حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هوالذي فسّر ذلك لهم...» (راجع: الكافي: ١: ٢٨٦ ـ ٢٨٨ حديث رقم ١) فتكون هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات، و موضّحة للمراد منها، و أنّ ذكر إسم أميرالمؤمنين عليه السلام في تلك الروايات قد كان بعنوان التفسير...»(راجع: البيان: ٢٥٠ ـ ٢٥١)

الكلمات و جعلت مكانها كلمات أخرى، فقد أجاب السيّد الخوئي بصددها قائلاً: «و الجواب عن الإستدلال بهذه الطائفة بعد الإغضاء عمّا في سندها من الضعف أنّها مخالفة للكتاب، و السنّة، و لإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن و لاحرفاً واحداً حتّىٰ من القائلين بالتحريف. و قد ادّعىٰ الإجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن، و أنّ مجموع ما بين الدّفتين كلّه من القرآن، و ممّن ادّعىٰ الاجماع الشيخ المفيد، و الشيخ الطوسي، و الشيخ البهائي، و غيرهم من الأعاظم قدّس الله أسرارهم. و قد تقدّمت رواية الإحتجاج الدّالة على عدم الزيادة في القرآن.»[١]

و أمّا الطائفة الرابعة: و هي الروايات التي دلّت على التحريف في القرآن بالنقيصة فقط، فقد قال السيّد الخوئي بصددها: «و الجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة: أنّه لابدّ من حملها على ما تقدّم في معنىٰ الزيادات في مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام[٢] و إنْ لم يمكن ذلك

١- راجع: البيان: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

٢- قال السيّد الخوئي بصدد مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ وجود مصحف لأميرالمؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور ممّا لاينبغي الشكّ فيه، و تسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلّف لإثباته، كما أنّ اشتمال قرآنه عليه السلام علىٰ زيادات ليست في القرآن الموجود و إن كان صحيحاً إلاّ أنّه لادلالة في ذلك على أنّ هذه الزيادات كانت من القرآن و قد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أنّ تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، و ما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمُراد... فليس كلّ ما نزل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن، فالذي يُستفاد من الروايات في هذه المقام أنّ مصحف عليّ عليه السلام كان مشتملاً على زيادات تنزيلاً أو تأويلاً، ولادلالة في شيء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات من القرآن، و علىٰ ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء

←

الحمل في جملة منها فلابدّ من طرحها لأنها مخالفة للكتاب والسنّة... علىٰ أنّ أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند، وبعضها لايحتمل صدقه في نفسه، و قد صرّح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها... و عن المحقّق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك، و نقله عن المحقّق الكركي الذي صنّف في ذلك رسالة مستقلّة، و ذكر فيها: «أنّ ما دلّ من الروايات على النقصية لابدّ من تأويلها، أو طرحها، فإنّ الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب، والسنّة المتواترة، و الإجماع، ولم‌يمكن تأويله و لاحمله على بعض الوجوه، وجب طرحه»، أقول: أشار المحقّق الكركي بكلامه هذا إلىٰ ما أشرنا إليه ـ سابقاً ـ من أنّ الروايات المتواترة قد دلّت على أنّ الروايات إذا خالفت القرآن لابدّ من طرحها، فمن تلك الروايات: ما رواه الشيخ الصدوق محمدبن عليّ بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام: **«الوقوف عند الشبهة خير من الإقتحام في الهلكة، إنّ علىٰ كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه»**[1].»[2]

← المنافقين في مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّ ذكر أسمائهم لابدّ و أن يكون بعنوان التفسير.»(راجع: البيان فى تفسير القران: ٢٤٣ ـ ٢٤٠).

١- وسائل الشيعة: ١٨: ٧٨ رقم ١٠ / داراحياء التراث العربى ـ بيروت / عن أمالى الصدوق و عن محاسن البرقي / و رواه الكلينى في الكافي: ١: ٦٩ رقم ١ / دارالأضواء ـ بيروت.

٢- راجع: البيان في تفسير القرآن: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

و في ختام بحثه يقررّ السيّد الخوئي ﷺ هذه النتيجة فيقول: «و ممّا ذكرناه: قد تبيّن للقارئ أنّ حديث تحريف القرآن حديث خرافة و خيال، لايقول به إلاّ من ضعف عقله، أو لم يتأمل في أطرافه حقّ التأمّل، أو من ألجأه اليه حبّ القول به، و الحبّ يعمي و يصمّ، و أمّا العاقل المنصف المتدبّر فلايشك في بطلانه و خرافته».[١]

هذا بيان ما في «البيان»! فمن هو الخبيث يا قفاري!؟

*** الإعتماد على كتب المتعصبين الحاقدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام!**

لقد ادّعىٰ المؤلّف ناصر القفاري في الجزء الأوّل من كتابه بأنّ ما يورده من عقائد الإماميّة قد نقله عن كتبهم المعتبرة و رواياتهم المستفيضة، فقال في الجزء الأوّل، ص ٢٧ «و الخلاصة أنّي لم أعمد إلاّ إلىٰ كتبهم المعتمدة عندهم في النقل و الاقتباس لتصوير المذهب، و لم أذكر من عقائدهم في هذه الرسالة إلاّ ما استفاضت أخبارهم به و أقرّه شيوخهم!».

و ليته كان صادقاً في دعواه هذه!!

فقد اعترف: «أنّ هذه الطائفة بمصدرها في التلقي، و كتبها و تراثها، تمثّل نحلة كبرىٰ.»[٢]

و قد ادّعىٰ أنّه حاول جهد الطاقة أن يكون موضوعيّاً، و قال: «و الموضوعية الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة، و أن تختار

١- البيان في تفسير القرآن: ٢٧٨

٢- أصول مذهب الشيعة: ١: ١٠.

المصادر المعتمدة عندهم، و أن تعدل في الحكم، و أن تحرص علىٰ الروايات الموثّقة عندهم أو المستفيضة في مصادرهم ما أمكن!!»[١]

لكنّه اعتمد في تكوين فكرته عن مذهب الشيعة و تصوراته عنهم على كلمات و تشويهات المتعصبين الحاقدين على الشيعة كجارالله[٢]، و إحسان إلهي ظهير[٣] و ابن تيميّة، و غيرهم!

إنّ من يقرأ كتابه يلاحظ باديء ذي بدء: أنّه يشرع في كتابه هذا برسم تصوّرات خاطئة عن الشيعة، كان قد أخذها بلاتدبّر عن هؤلاء الحاقدين، متأثّراً بأفكارهم و تصوراتهم الفاسدة!

أفليس من المغالطة في الحقّ أن يعتمد على أفكار هؤلاء

١- أصول مذهب الشيعة: ١: ١٦.

٢- موسى جارالله: مرت بنا ترجمته من قبل في هذا المدخل فراجع.

٣- احسان إلهى ظهير بن ظهور إلهى: رجل من الباكستان من أهالى لاهور، ولد ١٣٦٠ هجرى قمرى، أكمل دراسته في «الجامعة السلفية» بفيصل آباد، و نال شهادة الماجستير من كليّة الشريعة بالجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورّة! ثمّ حصل على عدد آخر من شهادات الماجستير كذلك! من جامعة البنجاب، أتقن الفارسيّة والعربية و شغل منصب الأمين العام لجماعة أهل الحديث في باكستان! و ترأس تحرير مجلة ترجمان الحديث! وله عدة مؤلفات في الفرق والعقائد منها: «القاديانيّة» و «الشيعة اوالسنّة» و «الاسماعيلية: تأريخ و عقائد».

و هو عضو بارز مؤثر في حزب «الصحابة» فى ولاية البنجاب في باكستان و يعتبر أكثر أعضاء هذه الجماعة إفراطاً و تشدّداً، و قد سعى كثيراً في خلق الفتن والتفريق بين المسلمين في باكستان، وكان من الأسباب الكبرىٰ في خلق التوتر الداخلي في باكستان، والذي قُتل بسببه آلاف من المسلمين هناك!

و أثناء ماكان ينشر سموم التفرقة بين المسلمين و يشحن بعضهم ضد بعض في احتفال لجماعته، أصيب إصابات شديدة نتيجة انفجار قنبلة في ذلك الإحتفال! و لأهميّته الخاصة عند الحكومة السعودية فقد نقل إلى المستشفى العسكري بالرياض! لكنّه توفي على أثر هذه الإصابة، سنة ١٤٠٧ هق و دفن في المدينة المنوّرة!

الحاقدين و يدّعي أنّه يدرس المذهب بأمانة و موضوعيّة صادقة و يعدل في الحكم!؟

إنّ القاريء ـ غير ذي الدراية و الإطلاع و المعرفة ـ قد تغرّه عذوبة تعابير ناصرالقفاري و قوالب الألفاظ و المصطلحات الجميلة التي استخدمها، فيتأثر كثيراً أو قليلاً بدعاواه، و يصدّق افتراءاته! ما لم يراجع مصادر الشيعة و علمائهم لكي تتكشف له الحقيقة و يعلم مدىٰ الجناية التي جناها هذا القفاري على الشيعة! و يطّلع على فظاعة خيانته في النقل، و جوره في الحكم، و بعده عن الموضوعية، و اعتماده على كلمات المتعصبين بدلاً من الأخذ عن المنصفين المحقّقين من علماء أهل السنّة، فضلاً عن آثار و كتب و مقالات علماء الشيعة و محققيهم و مجتهديهم!

لاندّعي شططاً إذا قلنا إنّه لايخلو مبحث أو موضوع إلاّ و كان القفاري فيه متأثراً بأفكار ابن تيميّة ـ الذى سوف نتعرض في الردّ التفصيليّ لدراسة شخصيته و مستواه العلمي الواقعي من خلال ترجمة دقيقة وافية، حتّىٰ يتبيّن للقاريء مدىٰ صحّة أفكار هذا الرجل أو فسادها و عقمها و انحرافها عن الصراط القويم، و ما تعرّض له ابن تيميّة من هجمات علمية من قبل علماء زمانه.

إنّ العصبيّة داء الجهلاء العضال الذي تعمىٰ به قلوبهم عن رؤية الحقّ و معرفته.

أعاذنا الله تعالى من ذلك و جميع المؤمنين.

*** عدم التفريق بين المذهب كراي و نظرية و بين عمل المنتسبين إليه!**

لاشكّ أنّ من طرق معرفة بعض آداب و تعاليم مذهب من المذاهب ملاحظة سلوك و نوع التزامات أتباع هذا المذهب المتمسكّين به، و هذه طريقة مألوفة عندالباحثين في فرع «علم الإجتماع»، وعند المحققّين في المذاهب والأديان.

لكنّ هنا ملاحظة دقيقة لاتخفىٰ على البصير الخبير في مثل هذه الدراسات!

وهي: أنّ مطلق سلوك أتباع مذهب ما لايكون دليلاً علىٰ أنّ كلّ مايصدر منهم من تصرفات و سلوك هو من آداب المذهب و تعاليمه.

و لهذا يُبحث في علم الأصول عن سيرة المتشرّعة بما هي طريقة لإثبات السُنّة، فيقول علماء الأصول: إنّ سيرة المتشرّعة إنّما تكون من طرق إثبات السنّة فيما إذا توفرت فيها شروط الحجيّة لامطلقاً، ومن تلك الشروط إحراز اتصالها بصاحب الشريعة ليُعلم اتخاذها من نفس الشريعة، و إلاّ فسيرة المتشرّعة لو لم يُحرز فيها ذلك، أو أحُرز عدمه، بأن عُلِمَ اتخاذها من السنن الوطنية أو الآداب الشعبية، فلاتكون حجّة أصلاً.

هذا النكتة الدقيقة كانت قد خفيت علىٰ الدكتور ناصر القفاري، أو كان قد تغافل عنها! و هو يدّعي التحقيق في مذهب الشيعة الإماميّة!؟

إنّ من البديهي أنّ عمل الإنسان المنسوب إلى التشيّع على الإطلاق لايكون حجّة و لادليلاً علىٰ أنّ ما عمله هذا الإنسان تجسيد لنظرية المذهب و تعاليمه، إذ ربّما خالف هذا الإنسان المنسوب إلى التشيّع مذهبه تساهلاً منه أو تهاوناً أو جهلاً!

فهل من الصحيح أن نؤاخذ مذهب الشيعة بكلّ تصرفات أتباعه، و نقول إنّ هذه التصرفات مطلقاً تجسيد عملي لما في المذهب من نظرية و تعاليم و آداب!؟

كيف يصحّ هذا و نحن نشاهد اليوم علىٰ الصعيد العام في مجتمعات المسلمين عدم إلتزام كثير من المسلمين بأداء الفرائض و الواجبات و بترك المحرّمات!

هذه المفاسد قد انتشرت أيّما انتشار في عالمنا الإسلامي، هذه إذاعات الكثير من بلاد المسلمين لاتكاد تكلّ أو تملّ من بثّ الغناء الفاحش الماجن المحرّم، و هذه الإذاعات المرئيّة تتفنّن بنشر الرقص و الخلاعة و الأفلام الماجنة المخالفة لأخلاق و آداب و تشريعات الإسلام، و هذه نساء المسلمين سافرات مستهترات شبه عاريات أمام الأجانب في الشوارع و الأندية و على السواحل، و هذه الخمور تباع علانية، و غير ذلك كثير.

فهل كلّ هذا تجسيد عمليّ لنظرية الإسلام و آدابه و تعاليمه؟!!

هل هناك مجنون فضلاً عن العقلاء ـ يقول بهذا!؟

هل يتوهمّ مسلم ـ أو غير مسلم! ـ أنّ الإسلام يسوّغ هذه المحرّمات! و يبيح ترك الصلاة التي هي أهمّ الفرائض، و ما إلى ذلك...!؟

لقد قال أحد المستشرقين عند زيارته لبلاد المسلمين: «إنـي رأيت المسلمين خلواً من الإسلام!» و كان منصفاً بقوله هذا!!

فمالهذا القفاري يأبىٰ أن يكون منصفاً حين خلط بين معالم المذهب و أصوله و تعاليمه و آدابه و بين عمل المنتحلين له و سلوكهم فيما خالف صريح فتاوىٰ علمائهم، و خالف صريح الروايات و الآداب و التعاليم و الوصايا المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

مالهذا القفاري أصرَّ على ألاّ يكون منصفاً حين أبىٰ أن يعتبر نظرية المذهب و آدابه و تعاليمه دليلاً لتقييم المذهب و الحكم عليه، واعتبر عمل فسقة من أتباع هذا المذهب دليلاً على بطلان أصل المذهب لادليلاً على بطلان عملهم و فسقهم و مخالفتهم لرأي المذهب و نظريته!؟ فهل ثمّة ظلم أبشع من هذا الظلم!؟

▣ كلمة الختام...

لا يخفىٰ على بصير أنّ كلّ ما قدمنّاه من ملاحظات و مؤاخذات علمية على كتاب «أصول مذهب الشيعة» لناصر القفاري كاشف عن الأصل الأصيل في منهجية هذا الرجل التي اعتمدها و تعمّدها من بداية كتابه إلى نهايته، و هذا الأصل هو اعتماد أسلوب المغالطة التي يعتمدها عادة من لم يتمكّن من إقامة البرهان الصحيح و الحجّة الواضحة، و الذي يرجم بالغيب و يتناوش من مكان بعيد، فيخلط بين حقّ و باطل، و خيال و حقيقة، في مقدمات قياسية خاطئة ليستنتج ما يحبّ إثباته و إن تيقّن من عدم ثبوته! غمطاً للحقّ و الحقيقة و إحياء للباطل.

إنّ منهج المغالطة الذي اعتمده ناصر القفاري في كتابه المغرض «أصول مذهب الشيعة» دليل واضح على أنّ الغاية الأساس و الغرض الرئيس من هذا الكتاب هو تنفير المسلمين من مذهب أهل البيت عليهم السلام، هذا المذهب الذي لم تزل الأيام و الوقائع و المشكلات التي تعاني منها الأمة في عالمنا الإسلامي على الصعيد الإعتقادي و السياسي و الاقتصادي و الثقافي جميعاً تكشف عن

حقّانيّته و تؤكّد أحقيته بالإتبّاع.

لقد كان ينبغي لناصر القفاري هذا أن يكون منصفاً ـ على الأقلّ ـ إنْ لم تكن الحقيقة ضالته، فيعتبر مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية أحد المذاهب الإسلامية على حدّ سواء مع المذاهب الأربعة عند أهل السنّة كما يقررّ ذلك المنصفون من علمائهم! هذا شيخ الأزهر (محمود شلتوت) كان قد سمح لجامعة الأزهر بدراسة هذا المذهب كسائر المذاهب الأربعة، و قال بأنّ العمل على وفقه صحيح و مجزٍ و اليك نصّ كلامه:

قيل لفضيلته: إنّ بعض الناس يرىٰ أنّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته و معاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، و ليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية و الزيدية. فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي علىٰ إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية؟

قال:

١ـ إنّ الإسلام لا يوجب علىٰ أحدٍ من أتباعه إتبّاع مذهب معيّن، بل نقول: إنّ لكلّ مسلم الحقّ في أن يقلّد بادي ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، و المدوّنة أحكامها في كتبها الخاصة، و لمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ـ أيّ مذهب كان ـ و لا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ـ إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإماميّة مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة فينبغي للمسلمين أن

يعرفوا ذلك، و أن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذهب معين، فما كان دين‌الله و ما كانت شريعته بتابعة لمـذهب، أو مـقصورة عـلىٰ مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عندالله تعالىٰ، يجوز لمـن ليس أهلاً للنظر و الإجتهاد تقليدهم و العمل بـما يـقرّرونه فـي فـقههم و لافرق في ذلك بين العبادات و المعاملات.(١)

و نضيف إلى ذلك: أنّ المذاهب الأربعة: الشـافعيّة، و المـالكيّة، و الحنبلية، و الحنفيّة، ليست مشتركة فـي جـميع مسـائلها أصـولاً و فروعاً، بل فيها ما هو متفّق عليه، و بينهاما هو مختلف عليه و هو كثير، حتّىٰ في المسائل الكلاميّة.

و ممّا يؤسف له أنّ ناصرالقفاري كان يُغمض الطرف عمداً عـن مشتركات مذهب الشيعة الإماميّة مع سائر المذاهب الإسلامية في الأصول و في الفروع، و يتعمّد أن يرسم في ذهن القاريء صـورة لهذا المذهب مشوّهة و مباينة للإسـلام حـقداً مـنه عـلى مـذهب أهل‌البيت عليهم السلام و شيعتهم!

و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره، يوم لاينفع مال و لابنون إلاّ من أتىٰ الله بقلب سليم!

فأعدَّ لذلك اليوم الجواب يا قفاريّ! و لاتنفع الظالمين معذرتهم لأنّ الحاكم هو الشاهد!

و الحمد لله رب العالمين.

١: راجع: رسالة الإسلام / مجلة إسلامية عالمية تصدر عن دارالتقريب بين المذاهب الإسلاميّة بالقاهرة / السنة الحادية عشرة/ العدد الثالث.

الفهرس